





شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٥٥٥

هذه السلسلة ..

عندما تتحوّل حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبّ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف.. فتشيع عبيرها الفوّاح في ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والامل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الان لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة.. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الاحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ لا وقت للمشاعر ..

كان من الممكن أن يكون الدكتور (وحيد حمدى) أحد أولئك الأطباء الأثرياء ، ممن يملكون العيادات الأنيقة والسيارات الفارهة والأرصدة فى البنوك .

فهو طبيب مشهود له بالكفاءة والتميز فى مجال جراحة الأعصاب .. وفى الحقيقة أنه كان متميزا ومتفوقا دائما على أقرانه منذ أن وضع قدمه فى كلية الطب .. وطوال سنوات دراسته كان يحصل دائما على المركز الأول أو الثانى على دفعته .

غير انه اكتفى بعمله فى أحد المستشفيات العامة ، وبدخل محدود لا يتناسب مع براعته كطبيب له مكانته فى مجال جراحة الأعصاب .

وبرغم العروض المغرية التى كانت تنهال عليه ، للعمل فى بعض المستشفيات الخاصة بأجور خيالية ، إلا أنه كان يرفضها دائما .

فعدا عمله فى المستشفى العام الذى كان يعمل به ، فإن معظم وقته كان موجها إلى العمل فى مراكز الأبحاث

الطبية لإجراء بحوثه على كيفية علاج مرض الشلل النصفى فى مراحله المتأخرة .

وما لم يكن مكلفًا بإجراء بعض العمليات الجراحية .. فإن المكان المعتاد للدكتور (وحيد) ، والذى يمكن العثور عليه فيه ، حتى فى الساعات المتأخرة من الليل ، هو مركز البحوث الطبية الخاصة بالشلل .

كانت هذه هى حياة الدكتور (وحيد) .. موزعة بين عمله فى المستشفى كطبيب جراح وعمله كباحث فى مراكز البحوث .. التى كان يهبها كل أوقات فراغه من عمله . ولم يكن يعود إلى منزله إلا فى ساعة متأخرة من الليل ، ليحصل فقط على بضع ساعات من النوم ، قبل أن يستأنف حياته على هذا المنوال الجاف ، الذى لا يتطرق إليه شىء من الرفاهية واللهو الذى يعرفه أقرانه .

بل إنه كان يتناول طعامه غالبا ، إما فى المستشفى ، أو فى مراكز البحوث ، أو فى بعض المطاعم الصغيرة .

فالدكتور (وحيد) .. واحد من أولئك الأطباء الذين ينظرون إلى الطب على أنه رسالة .. رسالة تحتاج إلى أن يهب لها المرء كل حياته . ويوجه لها كل اهتماماته دون كلل .. بل وباستمتاع .

وقد ساعده على ذلك أن حياته تكاد تكون منطبقة على اسمه .. فقد توفى والداه فى سن مبكرة .. وتبناه عمه بعد موتهما ، حيث إنه لم ينجب أبناء من زوجته المتوفاة .. كما أن (وحيد) لم يكن له أشقاء أو شقيقات .

وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره ، أصيب عمه بالشلل النصفى بعد تعرضه لصدمة عصبية قوية .. وظل عاجزًا عن الحركة ، معتمدًا على مقعد متحرك ليتنقل به بين حجرات منزله ، حتى توفى بعد ثلاثة أعوام من هذه الحادثة .

وكان هذا هو الدافع الرئيسى لاهتمام (وحيد) بالبحث عن علاج فعّال لهذا المرض ، وإصراره على التخصص فى جراحة الأعصاب .

إذ إنه كان شديد التعلق بعمه إلى درجة كبيرة .. وعاش معه معاناته فى عجزه ، وقد مرت السنوات بالدكتور (وحيد) دون أن يفكر فى الزواج أو يهتم بتكوين أسرة حتى بلغ الثامنة والثلاثين من عمره .. وقد ألف هذه الحياة الموزعة بين عمله كطبيب جراح فى المستشفى ، وبين استغراقه فى البحث والتجربة فى مركز البحث الطبى الخاص بعلاج الشلل .

ولم يكن (وحيد) على درجة كبيرة من الوسامة ، إلا أنه لم يكن يخلو من بعضها .. غير أن إهماله لمظهره .. وشعره المشعث دائما .. وتلك النظارة الطبية التى كان يحتفظ بها فوق عينيه .. كانت لا تلفت الأنظار إليه .. خاصة من جانب الجنس الناعم .

وفى الحقيقة .. فإنه هو نفسه لم يكن يهتم كثيرا بأن يكون ملفتا للنظر .. كما أنه لم يكن يبدى ميلا حقيقيا تجاه المرأة .. اللهم إلا إذا أثارت اهتمامه بإحدى المناقشات العلمية أو الطبية .. لاسيما إذا كانت تتعلق بمجال تخصصه أو بمرض الشلل النصفى .

ويبدو أن إهماله للجانب العاطفى فى حياته ، قد أضفى عليه بعض الخشونة فى تصرفاته . فلم يكن يلقى قبولا كبيرا من النساء .. كما أنه كان يفتقد لباقة التحدث إليهن .

ولكن ذلك لم يؤثر فى الدكتورة (سناء) .. مساعدته فى مركز البحوث الطبية ، وزميلته فى مهنة الطب .. برغم أنها كانت تعمل فى مستشفى آخر غير الذى يعمل به .

كانت (سناء) تنظر إليه دائما بإعجاب وتقدير كبيرين .. سرعان ما تحول من جانبها إلى اهتمام عاطفى أخفته

فى نفسها . وكانت نظرتها إلى الدكتور (وحيد) فى البداية نظرة التلميذة الشغوفة بكل ما هو جديد فى مجال البحث العلمى إلى أستاذها .. والمساعدة الصغيرة لعالم كبير ، كما كانت تراه وتشعر بمدى إخلاصه وذكائه فى مجال بحثه .

ثم ما لبثت مشاعرها أن تحولت تدريجيا تجاهه إلى عاطفة قوية طغت على دور الباحثة المساعدة .. والتلميذة المنبهرة بأستاذها .

ولم تعرف كيف جاء هذا التحول فى مشاعرها .. هل أتى نتيجة المعايشة وقضاء ساعات طويلة برفقته فى معامل البحوث الطبية ؟ أم نتيجة احاسيس خفية كانت مستترة لديها . منذ اللحظة الأولى التى وقعت فيها عيناها عليه ، بعد أن قبل أن تعمل معه كمساعدة له ؛ أم أن إعجابها به كجراح قدير وعالم متمكن ، انقلب مع مرور الوقت إلى اهتمام عاطفى ؟ ..

كل ما تعرفه هى أنها كانت تسعد بوجودها إلى جواره .. برغم أن اهتمامه كان منصبا دائما على أبحاثه . وتسعد بتحدثها إليه ، برغم أنه لم يكن يناقشها غالبا إلا فى أمور طبية وعلمية .. ولم تكن تشعر بكلل أو إرهاق وهى بجواره برغم أنه كان يرهقها بالفعل فى أبحاثه .

ولكن الشيء الذى كان يخفف عنها تعبها ، هو وجوده إلى جوارها ، وأن اهتمامهما كان مشتركا .. فهى أيضا كانت مهتمة بالاختبارات العلمية الخاصة بالأعصاب ، وإن لم يكن اهتمامها منصبًا بصفة أساسية ، كما هو الحال بالنسبة للدكتور (وحيد) على جراحة الأعصاب .. ولكنها كانت مخلصة بدورها لعملها.. سواء كطبيبة صغيرة فى المستشفى الذى تعمل به أو كباحثة تشارك الدكتور (وحيد) أبحاثه ودراساته . الفارق بينهما هو أنها لم تكن تعتبر عملها سواء كطبيبة أو باحثة هو كل حياتها . واهتمامها الأول والأخير ، فقد كانت لها اهتماماتها الأخرى التى تحرص عليها بقدر الإمكان .. وبقدر ما يسمح لها به عملها الشاق .

فهى شديدة الولع بالموسيقى .. خاصة الموسيقى الكلاسيك .. ولديها دراية كافية بها .

كما أنها لم تكن تهمل مظهرها كما يفعل الدكتور (وحيد) .. بل كانت تحرص دائمًا على أن تنتقى ثيابها بدقة .. وإن كانت تجمع فى اختياراتها لثيابها دائمًا بين البساطة والأناقة ، وتميل إلى الألوان الهادئة التى تتناسب مع شخصيتها .

و(سناء) فتاة تتميز بذلك النوع من الجمال الملائكى الهادئ .. وجهها ذو تقاطيع دقيقة الحجم ، وعيناها صافيتان بلون زرقة السماء .

وبرغم أن شعرها كان انسيابيًا وطويلا .. إلا أنها كانت تعقصه دائما ولا تتركه على سجيّته ، إلا فى المنزل الذى كان يضمها هى وأمها وأختها الصغيرة .. وهما كل عائلتها ، بعد وفاة والدها منذ بضعة أعوام .

نظرت (سناء) إلى الدكتور (وحيد) بإشفاق وهو ينزع المنظار عن عينيه المرهقتين ، وقد أخذ يضغط عليهما بأصابعه .

كانت قد مرت ثلاث ساعات متواصلة دون أن يتوقف عن العمل .. حتى بدا وكأنه قد نسى نفسه تماما .

وهم بإعادة المنظار مرة أخرى فوق عينيه .. حينما أمسكت به (سناء) وهى تبتسم قائلة :

ــ دكتور (وحيد) .. إنك بحاجة لبعض الراحة .

قال لها معترضا :

ــ إننى بحاجة ماسة لتقييم هذه التجربة التى أمامى .. يا (سناء) .. قبل تطبيقها على حيوانات المعمل .

قالت بنفس النبرة الهادئة ودون أن تتخلى عن ابتسامتها :

ـ التجربة يمكن أن تنتظر قليلا .. على الأقل حتى تنتهى من تناول غذائك .

ـ ولكن ...

قاطعته وقد اتسعت ابتسامتها :

ـ ممنوع الاعتراض .. أتدرى كم الساعة الآن ؟.. إنها السابعة مساء . لقد مرّ على ميعاد غدائك أكثر من ثلاث ساعات .. وكلما حاولت أن أنبهك لذلك تقول لى انتظرى قليلا .

نظر إليها ، وقد بدا متبرما من إلحاحها عليه .

ولكنها قالت :

ـ أنا أيضا لم أتناول غدائى حتى الآن .

ـ حسن .. يمكنك أن تتناوليه . أنا لم أمنعك من ذلك .. ودعينى أكمل عملى .

ـ لقد تعودت على أن نتناوله سويًا .

ـ لا فائدة من الجدال معك .. حسن .. هاتى ما معك من سندوتشات حتى ننتهى من أمر الغداء هذا .

ـ ولكنى لم أحضر معى سندوتشات اليوم .

نظر إليها الدكتور (وحيد) بدهشة قائلا :

ـ لم تحضرى معك السندوتشات ؟! ولماذا إذن كل هذا الإلحاح ؟ هل نسيتها ؟

قالت (سناء) مترددة :

ـ كلا .

ـ إذن ما الذى حدث ؟ إنك معتادة دائمًا ، إما أن تحضرى معك سندوتشات تعدينها فى المنزل ، أو تشترينها من أحد المحلات القريبة من هنا . فما الذى منعك اليوم ؟

قالت ، وقد بدا عليها شىء من الارتباك :

ـ لقد فكرت فى أن نحدث تغييرًا اليوم .

نظر إليها بدهشة قائلا :

ـ تغييرا .. أى تغيير ؟

قالت وقد ازداد ارتباكها :

ـ فكرت فى أن نتناول الغداء معًا فى أحد المطاعم القريبة من هنا .

قال لها غاضبا :

ـ مطعم .. أتريدين أن أغادر المعمل لأتناول معك الغداء فى مطعم ؟!

قالت فى نبرة رجاء :

ـ ولم لا يا دكتور (وحيد) .. إنك تتناول فى إفطارك سندوتشات ، وفى الغداء أيضا سندوتشات .. وغالبًا ما يكون عشاؤك مكونًا من الزبادى أو الجبن ..

أسبوعان كاملان وأنا أراك على هذه الحال .. ألا تشتاق لوجبة ساخنة ؟

لو كان الأمر بيدى .. لدعوتك إلى منزلنا .. ولكنى أعرف أنك سترفض ، فضلاً عن أن الوضع ليس مناسبًا لعدم وجود رجل معنا فى المنزل .

ـ ولكن هذا الأمر سيعطلنى .. وأنا أريد أن أنجز التجارب الأولية واحتمالاتها من الناحية النظرية .. قبل أن أبدأ فى تطبيقها على الحيوانات .

قالت فى توسل :

ـ نصف ساعة .. نصف ساعة فقط يا دكتور ، لن نتأخر أكثر من ذلك .. والمطعم قريب من المعمل .. إنه على ناصية الشارع .

ـ حسن .. نصف ساعة فقط .. إننى لن أتأخر أكثر من ذلك .

قالت له مبتسمة ، وقد أسعدتها موافقته :

ـ اتفقنا .

أسرعت (سناء) بخلع معطف المعمل الأبيض ، وساعدت الدكتور (وحيد) على خلعه ، ثم اصطحبته إلى المطعم ، وسألته وهما جالسان حول المائدة :

ـ ما رأيك .. هل أعجبك الطعامَ ؟

رفع (وحيد) وجهه عن الطبق الموضوع أمامه ، وعلى وجهه ابتسامة رضا قائلاً :

ـ معك حق .. إن الطعام هنا جيد .

ـ ألم أقل لك ؟ أليس أفضل كثيرًا من السندوتشات ؟

ـ واختيارك أيضًا لأنواع الطعام جاء موفقًا .

نظرت إليه بحنان بالغ قائلة :

ـ إنك ترهق نفسك كثيرًا يا دكتور (وحيد) ما بين المستشفى والمعمل ، وأنت بحاجة على الأقل لتناول طعام جيد .. يعينك على ما تبذله من جهد طوال اليوم .

نظر إليها (وحيد) بامتنان كما لو كان يراها لأول مرة .. قائلاً :

ـ لا أدرى .. ماذا كنت أفعل بدونك يا (سناء) ؟

أطلت من عينيها نظرة تنم عن مدى حبها .. وإن بدا أن (وحيد) لم يلحظها وهى تقول :

ـ ليتك تمنحنى الفرصة لكى أهتم بك أكثر من ذلك يا دكتور (وحيد) .

نظر إليها متعجبًا وهو يقول :

ـ أكثر من ذلك ؟! إنك تعملين معى باحثة .. ومديرة منزل .. وسكرتيرة . أنت الشخص الوحيد فى هذا العالم الذى يهتم بى كل هذا الاهتمام .

ترتبين مواعيدى .. وتعملين على تنظيم أوراقى .. وتعفيننى من كثير من المسئوليات الشخصية ، وبعض الواجبات الاجتماعية البغيضة .. وتذكريننى دائمًا بأن لى معدة خاوية تحتاج إلى طعام .

ـ هناك شىء آخر لم تدع لى الفرصة لكى أهتم به .

ـ وما هو ؟

ـ ثيابك .

ـ هل سنعود إلى هذا الموضوع ثانية ؟

ـ دكتور (وحيد) .. يجب أن تبدى اهتمامًا وعناية أكثر بثيابك ومظهرك .

ـ هل تقصدين أن مظهرى غير ملائم ؟

قالت فى حرج :

ـ أنا آسفة .. لم أقصد ذلك .. ولكن ...

ـ ولماذا الأسف .. قوليها ؟ أنا أعرف أننى قليل العناية بمظهرى .. ومنذ متى كان مظهر الإنسان ينم عن جوهره ؟ لقد أخبرتك من قبل أننى لا أهتم كثيرًا بالمظاهر .

ـ ولكن هذا شىء له أهميته بالنسبة لطبيب كبير وعالم مثلك يادكتور (وحيد) .. يحضر ندوات .. واجتماعات .. ويحضر مؤتمرات علمية .

ضحك (وحيد) قائلا :

إذن فأنت لا تعلمين شيئا عن العلماء إذا كنت تعدّيننى واحدا منهم ، فالعلماء معروف عنهم أنهم قليلو الاكتراث بمظهرهم الخارجى .

ـ ولكنى لم ألحظ ذلك فى تلك الندوات والمؤتمرات التى كنت تحضرها .. فغالبيتهم كانوا مهتمين بمظهرهم .

ـ (سناء) .. أنت أكثر واحدة تعرفين المسئوليات التى أضطلع بها ، وأننى فى بعض الأحيان أحتاج فى اليوم لما هو أكثر من الأربع وعشرين ساعة .

ومع ذلك .. فأنا لا أعتقد أننى أهمل كثيرا فى مظهرى إلى هذا الحد .. فضلا عن أنك تتذكريننى دائما فى أعياد ميلادى ، ببعض الثياب الأنيقة .. وإن كنت لا أرد لك شيئا من هذا .. لأننى دائما أنسى أعياد ميلادك ، ويحق لك أن تغضبى منى لذلك .. ولكنك لا تغضبين منى أبدا .

ليتك تذكريننى فى عيد ميلادك القادم .. لكى أحضر لك هدية ما .

ابتسمت (سناء) فى مرارة قائلة :

ـ مثل هذه الأمور لا تحتاج إلى تذكير يا دكتور (وحيد) .

ـ نعم .. معك حق .. يبدو أننى قد أسأت التعبير .

سارعت لتقول :

ـ أبدًا يا دكتور .. كل ما هنالك أنك رجل عملى ، ولا وقت لديك للتفكير فى مثل هذه الأمور .. ولك عذرك فى هذا .

ابتسم وحيد قائلاً :

ـ إننى سعيد لأننى أعمل مع إنسانة متفهمة مثلك .

وفجأة نظر (وحيد) إلى ساعته .. ثم هب واقفًا وهو يقول بانزعاج شديد :

ـ يا إلهى .. لقد تجاوزنا ساعة ونصفًا فى الجلوس فى هذا المطعم . علينا أن نعود سريعًا إلى المعمل ..

وتلاشت ابتسامته ..

* * *



٢ ـ ليتك ترانى ..

غادر الدكتور (وحيد) غرفة العمليات وبصحبته أحد زملائه من الجراحين ، حيث كان قد انتهى لتوه من إجراء إحدى العمليات الناجحة لأحد المرضى .

وقال له زميله وهو يرمقه بإعجاب :

ـ كنت بارعًا فى عملك كالمعتاد يا دكتور (وحيد) .. فجراحة اليوم كانت دقيقة وخطيرة للغاية .. أنا نفسى كنت أتوقع لها النجاح بنسبة عشرة فى المائة .

ـ ماكان لى أن أنجزها على هذا النحو لولا مساعدتكم ومساندتكم لى يا دكتور (كامل) .

ـ لا داعى لهذا التواضع يا دكتور (وحيد) .. لقد كنت رئيس فريق الجراحة ، وأنت الوحيد الذى كنت مقتنعًا بنجاح العملية وتوليت مسئوليتها بنفسك ، وهو ما لم يستطع أحد منا القيام به .. فالعمليات الجراحية فى المخ من هذا النوع ، تحتاج لجراح على درجة عالية من المهارة والثقة بالنفس لتولى مسئوليتها .

ـ المهم .. أن العملية قد نجحت بفضل الله .. وسعادتى الحقيقية الآن هى أن أرى الفرحة على وجه

تلك الطفلة الصغيرة ، ابنة الرجل الذى أجرينا له العملية .. ثم الاطمئنان على أن الشفاء قد تم بالكامل فيما بعد .

ودخل الطبيبان إلى استراحة الأطباء ، حيث نزع الدكتور (وحيد) المعطف الأبيض عنه .. فى حين قال له الدكتور (كامل) ، وهو يعلق معطفه على المشجب :

ـ إلى أين أنت ذاهب الآن ؟

ـ إلى معمل الأبحاث بالطبع .

ـ مازلت تسعى وراء بحثك عن علاج الشلل النصفى ، أليس كذلك ؟

ـ إنه العدو الذى لن أتخلى عن قتاله والاستعداد لمواجهته .

ـ صدقنى يا دكتور (وحيد) .. علاج هذا النوع من الشلل ، وخاصة بالوسائل الجراحية أمر صعب للغاية ، وخاصة فى مراحله المتأخرة .

ـ ولكنه غير مستحيل على الأقل بالنسبة لى .. لقد آليت على نفسى السعى وراء إيجاد علاج ناجح ومستقر ، لمواجهة هذا المرض اللعين .

ـ لكن معامل الأبحاث والمستشفيات العامة ، لا تعد مصدرا كافيا للدخل بالنسبة لطبيب ناجح مثلك .

ـ ليست لى شكوى من الناحية المادية .

ـ لأنك لا تهتم أصلا بالأمور المادية .. ولا طموح لك فى هذا الشأن .

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أليس من الغريب ان طبيبا بارعا ومرموقا مثلك ، لا يمتلك عيادة خاصة حتى الآن ؟

ـ أبحاثى لا تعطينى وقتا لإدارة عيادات خارجية .. كما أنه من أين لى تكلفة إنشاء مثل هذا النوع من العيادات فى الوقت الحاضر ؟!

ـ أرأيت .. هذا هو أحد الأهداف التى تحققها النقود التى لا تبدى اهتماما كبيرا بها .. عيادة خاصة وكبيرة تناسب جراحا مرموقا مثلك .

ـ وما حاجتى إلى عيادة ؟.. جميع الحالات التى تحتاج إلى تدخلى تعرض علىّ هنا فى المستشفى .

ـ هناك أطباء كثيرون أقل منك شأنا ، وأصغر منك سنا ، لديهم عيادات خاصة ، بالإضافة إلى عملهم فى المستشفيات الخاصة .. وأرصدة فى البنوك .

أما أنت فتحيا فى مسكن متواضع ، وتضيع مجهوداتك ما بين العمل فى المستشفيات العامة ومعامل الأبحاث .. وترضى بدخل متواضع .

ـ المفروض فى الطبيب ان يكون اولا صاحب رسالة إنسانية وذا مبادئ .

ـ دعك من النظريات والمثل التى لن تقدم أو تؤخر فى عصرنا الحالى .. ومع ذلك لا أعتقد أن هناك تعارضا بين ان يكون الطبيب ذا مبادئ وصاحب رسالة إنسانية ، وبين أن يعيش حياته كما يجب .. أن تكون له عيادة خاصة .. ورصيد فى البنك .. ومنزل أنيق .. وزوجة جميلة .

ضحك الدكتور (وحيد) وهو يتناول فنجان قهوته قائلا :

ـ فى الحقيقة لا وقت لدى للتفكير فى كل هذه الامور .

قال له الدكتور (كامل) بجدية :

ـ ومتى يحين الوقت يا دكتور (وحيد) ؟ .. لقد شارفت الأربعين ولم تتزوج بعد .. ولم تدخر مبلغا يفيدك فى المستقبل .

ـ ما الذى تهدف إليه من وراء هذه المناقشة الطويلة ؟

ـ إننى أعد نفسى صديقا لك .. لذا فإننى أرغب فى أن تنال ما تستحقه من الحياة .. خاصة وأنا أعلم جيدا إمكانياتك وقدراتك كطبيب بارع وجراح أعصاب من الطراز الأول .

قال له الدكتور (وحيد) وهو يرمقه بنظرة ثاقبة :

ـ هل تريد أن أصبح مثلك يا دكتور (كامل) .. آتى ساعتين إلى المستشفى لإجراء جراحة عاجلة ، تم تحويلها إلى المستشفى عن طريق عيادتك ، ثم أغادر المستشفى عاجلا للعمل فى مستشفى خاص بأجر يساوى أربعة أضعاف ما تأخذه هنا .. ثم أغادر المستشفى الخاص متوجها إلى عيادتك الخاصة ، التى حددت فيها سعر الكشف بمبلغ باهظ يستعصى على الفقراء وأصحاب الدخول المتواضعة .. وتجلس فى نهاية اليوم لتحصى حصيلة المبالغ التى دفعها الزبائن ؟

ـ وما العيب فى ذلك .

ـ الأمر على هذا النحو يتحول إلى عملية تجارية بعيدة عن الهدف الذى دخلنا من أجله كلية الطب .

ـ ولكنى أمارس عملى كطبيب على الوجه الأكمل ، ولا أعتقد أننى أقصر فى شىء . إنها مهنة لها مقابل كأى مهنة أخرى .. وإذا كنت أحصل على ثمن مرتفع للكشف الذى أجريه فى عيادتى .. فهناك دائما مرضى من ذوى الدخول المرتفعة ، قادرون على دفع ثمن الكشف الذى تراه من وجهة نظرك باهظا ، بينما هم لا يرونه كذلك من وجهة نظرهم ، ما دامت إمكانياتهم تسمح به ، ولدىّ قائمة انتظار طويلة بأسماء هؤلاء المرضى .

أما إذا كان يقلقك يا سيدى أمر الفقراء وأصحاب الدخول البسيطة ، فهانت ترانى أقوم بواجبى نحوهم هنا فى المستشفى العام ، وبمقابل رمزى .

– يا دكتور (كامل) .. دعك من هذا القول معى .. أنت تعلم كما أعلم أنك تستخدم المستشفى العام هنا كوسيلة لإجراء بعض العمليات الجراحية ، التى تعرض عليك فى عيادتك الخاصة .. كما أنك تضخم الأمور بالنسبة لبعض المرضى ممن تعرض عليك حالاتهم هنا ، لكى يذهبوا إليك فى العيادة حيث ثمن الكشف أبعد ما يكون عن المقابل الرمزى .

قال الدكتور (كامل) بعصبية :

– دكتور (وحيد) .. إننى أحتج على هذا القول .. وعلى كل حال أنا آسف لأننى أفكر فى مصلحتك .

– لا داعى للغضب .. أنا الذى أعتذر عن تدخلى فى أمورك الشخصية .. ومع كل فأنا أعترف بأنك طبيب متمكن وبارع فى عملك .

ولكنك لم تقل لى بعد .. ما الهدف من وراء هذه المناقشة ؟.. لا تقل إنك تضيع وقتك الثمين لمجرد اهتمامك بمصلحتى الشخصية .. فأنا أيضا أعرف أهمية الوقت بالنسبة لك .

– فلنقل إنها مصلحة مشتركة .. إننى أنوى توسيع عيادتى الخاصة .. فقد اشتريت الشقة التى تجاورها .. بغرض توسيع العيادة .. بعد أن زادت قائمة الانتظار بالنسبة للمرضى إلى حد كبير .

لذا فكرت فى أن تعمل معى فى العيادة لقاء نسبة يتم الاتفاق عليها فيما بيننا ، ووفقا للشروط التى تحددها .. فأنا بحاجة إلى طبيب له براعة مثلك .. وأنت أيضا بحاجة إلى دخل إضافى يساعد مع المرتب الضئيل الذى تحصل عليه من هذا المستشفى .

ابتسم الدكتور (وحيد) قائلا :

– فى الحقيقة إننى أشكرك للغاية لاهتمامك بى على هذا النحو .

– ولم الشكر .. إن عملك معى سيضفى شهرة أكثر على العيادة ، خاصة مع وجود طبيب قدير مثلك .. كما أنه سيقلل من قوائم الانتظار التى تدفع ببعض المرضى إلى الذهاب إلى عيادات أخرى ، نظرا لعدم قدرتهم على الانتظار لفترات طويلة .

فضلا عن أننى وجدت أننى أرهق نفسى أكثر من اللازم .. فى التنقل بين المستشفى العام والخاص والعيادة .. حتى أننى لا أجد الوقت الكافى لممارسة حياتى الطبيعية والاهتمام بأسرتى التى تفتقدنى بشدة .

لذا فإن وجود شخص مثلك معى ليشاركنى عملى فى العيادة ، سيتيح لى هذا الوقت ، ويقدم لى فرصة التمتع بحياتى الشخصية .

وصمت برهة قبل أن يستطرد :

ــ فماذا قلت يا دكتور (وحيد) ؟

ــ إنه عرض مناسب للغاية .. لكنى لا أستطيع أن أقبله .

ــ ولكن لماذا ؟

ــ اهتمامى بأبحاثى يفوق أى عرض يمكن أن يقدم لى .

ــ ولكنك تضيع من يدك فرصة ثمينة من أجل السعى وراء سراب يا دكتور (وحيد) .

ــ مادامت هناك فرصة للنجاح ، فإن الأمر بالنسبة لى لن يكون مجرد سراب بأى حال من الأحوال يا دكتور (كامل) .

أما بالنسبة للعيادة ، فبلاشك أنك ستجد الكثيرين من الأطباء الذين سيرحبون بالعمل معك .

ونظر فى ساعته قائلاً :

ــ بعد إذنك .. لقد تأخرت عن الذهاب إلى معمل الأبحاث .

نظر إليه الدكتور (كامل) وهو ينصرف قائلا يحنق :

ــ غبى .

وفى أثناء ذلك كانت الدكتورة (سناء) تستعد لمغادرة المستشفى الذى تعمل به عندما سألتها زميلتها الدكتورة (دلال) قائلة :

ــ كيف مرت نوبتجية الأمس ؟

ــ كانت ليلة هادئة .. فعدا حالة مريض الغرفة رقم (١١) لم تكن هناك مشاكل تذكر .

ــ هل ستذهبين الآن إلى المنزل ؟

ــ بل الى معمل الابحاث .

ــ حتى بعد ليلة النوبتجية تذهبين الى المعمل ؟..
إنك ترهقين نفسك اكثر من اللازم يا (سناء) .

ــ لقد قاربت على الانتهاء من البحث الذى أجريه هناك .

ــ دعك من هذا الكلام . انت لاتذهبين من أجل البحث الذى تجرينه .. ولو كان الامر متعلقا بهذا البحث ، لكنت قد انتهيت منه منذ فترة طويلة .. أنت تذهبين من أجل الدكتور (وحيد) .

ــ وماذا فى ذلك ؟ الدكتور (وحيد) أستاذ كبير والعمل معه فيه إفادة كبيرة لطبيبة مثلى .

– (سناء) أتكذبين علىّ أم على نفسك ؟ إننى أقرب صديقة لك .. وأعرف جيدا مدى تعلقك بهذا الشخص .

ولو كنت أرى أن هناك أملا وراء التعلق بالدكتور (وحيد) لشجعتك على ذلك .. ولكنه كما أرى لا يشعر بك مطلقا .

إن كل اهتمامه وتركيزه منصب على عمله وأبحاثه .. ولا وقت لديه للتفكير فى المرأة .. هذا ما يجب عليك أن تفهميه .

كما أن الدكتور (وحيد) هذا .. ليس لديه أى طموح .. عدا الطموح العلمى .

– إنك لا تعرفين الدكتور (وحيد) .. كما عرفته أنا .. إنه رجل عظيم .. عظيم بكل معنى الكلمة .. لديه مبادئ يتمسك بها .. ويؤمن بأنه صاحب رسالة يتعين عليه أن يؤديها بكل جد وجهد وإخلاص .

إنه رجل يجبرك على احترامه .

– دكتورة (سناء) .. لقد تخرجت من كلية عملية .. ومارست حياة عملية .. ويتعين عليك أن يكون تفكيرك على هذا النحو أيضا .. وتتخلى عن هذا النوع من رومانسية الروايات .

– لا أفهم .

– إنك تضيعين عمرك فى التعلق بهذا الطبيب الذى لا يعيرك أى اهتمام ، إنه لا يهتم بك إلا كمساعدة له فى معمل الأبحاث .. وأنانيته تجعله يحاول الاستفادة منك بأكبر قدر من هذه الناحية ، دون أن يفكر للحظة واحدة فى الارتباط بك أو الزواج منك .

– فليكن .. إننى سعيدة بعملى معه .

– والدكتور (فؤاد) يا (سناء) .. إنه ما زال متمسكا بك .. واليوم حدثنى مرة أخرى عن رغبته فى الارتباط بك .

– مرة أخرى يا (دلال) .. ألم ننته من هذا الموضوع ؟ .

– وماذا نفعل إذا كان الرجل يحبك ، ولم يفقد الأمل فى الزواج منك بعد ؟ وفى أن يأتى اليوم الذى تغيرين فيه رأيك بشأنه ، برغم صدك ورفضك له .

– (دلال) .. أنا لا أصد ولا أتصنع .. الدكتور (فؤاد) بالنسبة لى مجرد زميل . لقد أخبرتك وأخبرته بذلك من قبل .. مجرد زميل فقط .. ولا يعنى بالنسبة لى أكثر من ذلك .

– ولكن ...

قاطعتها (سناء) وهى تبتسم :

ـ ولكن دعينى أذهب الآن إلى معمل الأبحاث .. فقد تأخرت .

قالتها وقلبها يخفق ..

وبقوة .

* * *



٣ ـ مشاعر حائرة ..

نادت ممرضة الاستقبال الدكتورة (سناء) فى أثناء توجهها إلى إحدى حجرات المرضى قائلة :

ـ تليفون لك يا دكتورة (سناء) .

تناولت الدكتورة (سناء) سماعة الهاتف وهى تسأل عن المتحدث .

وما لبثت أن سمعت صوت الدكتور (وحيد) وهو يهتف فى فرحة قائلاً :

ـ نجحت يا (سناء) .. نجحت .. لقد أثمرت أبحاثى ومجهوداتى أخيرًا ، ونجح العقار .. النتيجه مذهلة بالنسبة للحيوانات المصابة بالشلل النصفى .. لقد استردت قدرتها بالكامل على الحركة العادية والتحرك بشكل طبيعى .. وبدون أى تدخل جراحى .. تصورى هذا ؟!

تهلل وجه (سناء) بالسعادة وهى تقول :

ـ هذا خبر مبهج للغاية يا دكتور (وحيد) .. إنه نجاح مذهل للدواء الذى ابتكرته .

قال الدكتور (وحيد) وما زالت الفرحة تشع من صوته :

ــ ألم أقل لك إننا سننجح فى النهاية ؟

ولكن مظاهر الفرحة سرعان ما تراجعت على وجه (سناء) تدريجيًا وقد أحست بأنها أسرفت فى التفاؤل بأكثر مما ينبغى قائلة :

ــ ولكن قد لا يكون لذلك العقار نفس الأثر بالنسبة للإنسان !

ــ أنا متأكد من أنه سيأتى بنفس النتيجة .. هل نسيت ؟ لقد أختبرناه جيدا .. ثم إن قرد الشمبانزى الذى استخدمناه فى تجاربنا يتشابه كثيرًا من الناحية الفسيولجية مع الإنسان .

ــ ولكن يا دكتور (وحيد) .. أنت تعلم جيدًا أن هذا لا يكفى لتقرير صحة النتائج بالنسبة للإنسان .. وأعتقد أنك ستكون بحاجة لبعض الوقت ، قبل أن تقرر تجربته على البشر .

ــ إننا لسنا بحاجة لكل هذه المخاوف .. لقد اختبرنا الدواء معا .. واستطعت أن أتغلب على تسعين فى المائة من أعراضه الجانبية .. وحتى ما تبقى منها من نسبة بسيطة لا ينطوى على أى قدر من الخطورة .

إننى لا أخفى عليك ، لقد بدأت فى تجربة هذا العقار على ثلاثة أشخاص منذ خمسة عشر يومًا .

قالت (سناء) بانزعاج :

ــ ولكن هذا مخالف للوائح العلمية والطبية .. كان يتعين عليك أن تنتظر حتى تتأكد تمامًا من نجاح العقار بالنسبة لحيوانات التجارب .. ثم تبدأ فى تجربته على عينات بشرية .. مستعدة لاستخدامه بعد الحصول على إقرار منها بذلك .

ــ إننى لا أعبأ كثيرًا باللوائح العلمية والطبية .. إن ما يهمنى هو النتائج ، وأنا قد أصبحت واثقا من النتيجة .. كما أن الأشخاص الثلاثة الذين تم تجربة العقار عليهم .. رحبوا للغاية باستخدامه ، وأصبحت آمالهم متعلقة بنتائجه .

ــ وهنا تكمن الخطورة .

ــ ماذا بك يا (سناء) ؟ لقد ظننت أنك ستكونين أكثر فرحة وحماسا من هذا خاصة بعد نجاح العقار مع حيوانات التجارب .. ولكن لم أتوقع منك هذه النبرة المحبطة .. ألا تثقين بى ؟

ــ كل الثقة بالطبع يا دكتور (وحيد) .. كل ما هنالك .. أننى حذرة بعض الشىء . وكنت أرغب فى بعض التريث قبل استخدام هذا العقار مع البشر .

ـ على كل حـال .. لـن ينفـع مثل هذا الحديث فـى التليفون .. يجب أن تأتى أولا إلى المعمـل لترى نتيجة العقار بنفسك .. من الأفضل ألا تتأخرى فى الحضور إذا لم يكن وراءك ما يستدعى بقاءك الآن فى المستشفى .

ـ سأحضر بعد ساعة من الآن .. وداعًا يا دكتور .

ولكن قبل أن تضع السماعـة .. قال لها الدكتـور (وحيد) مترددًا :

ـ دكتورة (سناء) .. مارأيك بعد الحضور إلى المعمل لو ... أعنى أننى كنت أفكر .. فى الذهاب إلى ذلك المطعم الذى تغدينا فيه من قبل .. على الأقل لنحتفل بهذه المناسبة .

ابتسمت (سناء) قائلة .

ـ هذا أمر يسعدنى يا دكتور (وحيد) .

ـ حسن .. لا تتأخرى .

وخفق قلبها مرة أخرى ..

* * *

قال لها الدكتور (وحيد) وهما يجلسان حول مائدة الطعام فى ذلك المطعم الذى دعاها إليه !

ـ والآن ما رأيك فى نتيجة التجارب ؟

ـ رائعة .. لقد استعادت الحيوانات قدرتها على المشى والحركة .. بل والقفز أيضًا كما هو الحال بالنسبة للشمبانزى .

ـ ألم أقل لك ؟ هذا هو الحماس الذى أردت أن أسمعه فى صوتك ، حماسك لنجاح جهودنا وتعبنا طوال السنين الماضية .. لقد كان الجميع يؤكدون أننى لن أنجح .. وكنت مصممًا على النجاح .. شخص واحد آمن بى ووثق من نجاحى .. وهو أنت يا (سناء) .. كنت الوحيدة من بين زملائى الأطباء وزملائى فى معمل الأبحاث ، التى آمنت بنجاحى .. وقدرتى على تحقيق المستحيل الذى كانوا يظنونه .

لذا فقد انزعجت من لهجتك فى أثناء المحادثة التليفونية .. والتى كانت تدل على بعض التراجع فى هذه الثقة .

ـ لم يكن تراجعًا فى ثقتى بك .. بل خوفًا من أن يكون الحماس قد جرفك إلى التسرع فى تجربة العقار ، على بعض الحالات الإنسانية ، مما قد يعرضك إلى مساءلة مهنية ، أو يأتى بنتيجة عكسية قد تؤثر عليك فى المستقبل .

ـ اطمئنى يا (سناء) .. واستمرى فى ثقتك بى .. فإننى بحاجة لهذه الثقة ، خاصة فى المرحلة الآتية .. بحاجة إلى وقوفك بجوارى .

ـ إننى بجوارك دائمًا يا دكتور (وحيد) .

ــ هل تعرفين يا (سناء) .. لقد أصبحت شيئا هامًا للغاية فى حياتى .. ولا أعتقد أننى بحاجة لتكرار ماقلته فى المرة السابقة ، عندما كنا نجلس فى نفس المكان .. ولكنى أشعر بالفعل بأننى لا أستطيع الاستغناء عنك .

ابتسمت (سناء) قائلة :

ــ يبدو أن فرحتك بنجاح التجارب المعملية قد جعلتك تسرف فى تقديرى بأكثر مما أستحق يا دكتور .

ــ على العكس .. الشىء الوحيد الذى يشغل تفكيرى الآن .. خاصة إذا ما قدر لهذه التجارب أن تأتى بنجاح كامل . هو ابتعادك عنى .

ــ وما الذى سيجعلنى أبتعد عنك ؟

ــ لقد كانت التجارب المتعلقة بهذا العقار هى الشىء الذى يجمعنا فى ذلك المعمل ، كباحث علمى ومساعدة له .. ولكن بعد أن ننتهى من هذه التجارب ويأتى العقار بالنتيجة المرجوة .. فلا بد أننا سنفترق .

ربما تعملين مع باحث آخر .. وربما تتولين أحد الأبحاث بنفسك .

قالت (سناء) وقد خفق قلبها وهى تسائل نفسها .. ترى هل بدأ يحس بها ؟ وهل هو بحاجة فعلا إلى

وجودها فى حياته ، دون أن يكون الأمر متعلقًا بدورها كمساعدة له ؟

ــ ولكننا سنبقى زملاء فى معهد الأبحاث بلا شك .

ــ هذه الكلمة لا تكفى .

قالت (سناء) وقد أزداد خفقان قلبها :

ــ ماذا تعنى يا دكتور (وحيد) ؟

ــ لا أدرى .. ولكن أن تتسع المسافة بيننا لنصبح مجرد زملاء نلتقى من آن لآخر لنتبادل التحية .. ثم يستغرق كل منا فى عمله .. فهذا أمر سيحتاج إلى وقت طويل كى أعتاد عليه .

ــ إنك تضفى علىّ تقديرًا كبيرًا بأن تجعل لى مثل هذه الأهمية يا دكتور (وحيد) . ولكن كما قلت إن المسألة ستكون مسألة وقت واعتياد .. كما أنك بعد نجاح العقار ستصبح مشهورًا على نحو يجعلك تنسى مساعدتك الصغيرة .

ــ هل تظنين ذلك ؟

ــ الأيام القادمة ستثبت لك ذلك .

ــ إذن فسوف تعتادين أنت الأخرى مع الوقت ذلك التباعد بيننا .

ــ ربما .

تراجع (وحيد) فى مقعده وهو يطلق زفرة قصيرة قائلا :

ـ ولكنك كنت تنظمين أمورًا كثيرة فى حياتى .. ولم تكن مساعدتك لى مساعدة علمية فقط .. من الذى سيهتم بترتيب مواعيدى .. وتنظيم حياتى الشخصية .. طعامى وشرابى .. وحتى ملابسى التى عودتنى على انتقائها بنفسك ؟ من المؤكد أن حياتى ستعمها الفوضى مرة أخرى بعد انتهاء عملنا معًا .

أحست (سناء) بالصدمة وخيبة الأمل وهى تستمع إلى ما قاله .. إن اهتمامه بها لا يرجع إلى شعور عاطفى بدأ يعرف طريقه إلى قلبه .. بل إلى احتياج شخصى . إنه ينظر إليها كمدبرة منزل وسكرتيرة خاصة ، ولقد قالت وهى تجاهد لكى لا تظهر ملامح خيبة الأمل فى صوتها :

ـ على كل حال .. النتائج المرجوة لن تظهر بين يوم وليلة .. ما زال أمامنا وقت طويل لكى تكون التجارب الخاصة بالعقار نهائية .. وبعدها سيمكننا تدبير الأمر .. ويمكنك أن تطمئن إلى أننى سأعمل أقصى ما فى طاقتى لخدمتك .

ربّت (وحيد) على يدها قائلا :

ـ أشكرك يا (سناء) .. من المؤكد أنك إنسانة ممتازة من كل الوجوه .

ـ أشكرك على هذا التقدير يا دكتور .

ـ كما أنك مخلصة ورقيقة للغاية .

ابتسمت قائلة :

ـ كفى يا دكتور (وحيد) .. وإلا اعتبرت هذا غزلاً .

ـ هل تعرفين .. إننى لم أغازل فتاة واحدة طوال حياتى . كما أنه لم يكن فى حياتى أية امرأة سوى والدتى ، رحمها الله وأنت .

ـ أعتقد أن ظروف عملنا معًا فى معهد البحوث هى التى فرضت عليك وجودى فى حياتك .

ـ ليس هذا ما أقصده ، لقد عملت مع الدكتورة (منى) والدكتورة (مهجة) قبل أن تعينى مساعدة لى . ولكن لم يكن لهما وجود حقيقى فى حياتى .. إن ما أقصده ليس هو التواجد بالمعنى المهنى .

ـ أفهم ذلك .. فإن إحداهن لم تهتم بك من الناحية الشخصية كما فعلت أنا .

ـ (سناء) إننى لا أعرف كيف أستطيع أن أعبر عن نفسى .. ولكنى حقيقةً أكن لك تقديرًا خاصًا .

أحست (سناء) بالحيرة من أمره .. فلم تره أبدًا مرتبكًا وغير قادر على تفسير مشاعره من قبل .

ترى أيكون هذا التقدير الذى تحدث عنه يحمل فى طياته شعورًا عاطفيًا عجز عن تفسيره ؟. إنها يمكن أن تمنى نفسها بهذا لو كان يحمل قدرًا من الحقيقة ، أم أن أوهامها هى التى تحاول أن تصور لها هذا ؟! فقالت له :

ــ يسعدنى تقديرك لى على هذا النحو يا دكتور (وحيد) .

قال وقد بدا شاردًا وهو ينظر إلى الجدار أمامه وكأنه يحادث نفسه :

ــ أى رجل يتباهى بعلاقاته النسائية وغرامياته السابقة ، أما أنا فلا أمتلك أى خبرة فى هذا المجال .. وأعترف بأننى لا أجيد التحدث مع أى فتاة أو امرأة .

بل إننى أشعر بارتباك وحرج شديد فى حالة تواجدى وانفرادى بأية امرأة برغم نشاطى العلمى والعملى .

فقد كانت حياتى دائمًا قاصرة على الدراسة والبحوث والمستشفى وغرف العمليات . ربما كانت الإنسانة الوحيدة التى لا تشعرنى بهذا العجز أو الارتباك هوأنت.

ومع ذلك فأحيانًا أجد نفسى عاجزًا عن التعبير عن مشاعر مرتبكة بداخلى كلما أتيحت لى فرصة التحدث إليك .

ترى أيكون هذا عيبًا فى شخصيتى ؟ لا شك أن الرجل عندما يكون بلا تجارب ولا خبرات سابقة يبدو ساذجًا وقليل الشأن فى نظر المرأة .

قالت (سناء) وقد عاد قلبها يخفق من جديد :

ــ بالعكس يا دكتور .. هذا لا يقلل من شأن الرجل أبدًا .. فالمرأة تحترم الرجل الجاد المخلص لعمله .. وصاحب المبادئ والإرادة القوية . وكلها صفات تتمثل فيك .

أما ذلك الذى يباهى بعلاقاته النسائية وغرامياته السابقة فهو غالبًا رجل أجوف .. مغرور .. ليس له أى شأن .

ابتسم قائلا :

ــ لا أعتقد أن كثيرات مثلك يفكرن على هذا النحو .

شجعتها صراحته واستطراده معها فى الحديث على أن تقول له :

ــ دكتور (وحيد) .. لماذا لم تفكر فى الزواج حتى الآن ؟

صمت برهة قبل أن يقول :

ــ أعتقد أن من يحيا على شاكلتى لا يحق له أن يظلمَ أية امرأة بالزواج منها .

ازدادت شجاعتها وهى تقول :

ـ ولكن إذا كانت هذه المرأة تشاركه عمله واهتماماته ، وتقدر ظروفه وتشجعه على ممارسة نشاطه العلمى .. فى هذه الحالة لن تكون هناك مشكلة بين الطرفين .

ـ وأين هى هذه المرأة التى تتحدثين عنها ؟

كادت تصرخ فى وجهه :

ـ أين عيناك ؟.. ألا ترى أنها جالسة الآن أمامك .. تنتظر إشارة واحدة منك ؟!

ولكن حياءها غلبها .. فاكتفت بأن قالت :

ـ أعتقد أنك لو بحثت قليلاً لوجدتها .

ابتسم قائلاً :

ـ ولولا أننى أثقل عليك بالكثير من احتياجاتى ومطالبى الشخصية لطلبت منك أن تساعدينى فى البحث عنها .

قالت واجمة :

ـ إننى مستعدة لذلك لو أردته حقًا .

قال لها (وحيد) بلهجة جادة :

ـ لقد تزوجت أبحاثى ومهنتى التى أخلص لها .. ومن الصعب علىّ أن أدخل عليها شريكًا آخر وإلا ظلمت أحد الطرفين .

ـ إننى لا أوافقك على هذا الرأى يا دكتور (وحيد) .

صمت برهة قبل أن يقول :

ـ وأنا أعدك بأننى سأفكر فى هذا الأمر بعد أن أنتهى تمامًا من تجربة العقار الخاص بعلاج الشلل النصفى .

ونظر فى ساعته قائلاً .

ـ هذه المرة تأخرنا ثلاث ساعات .. إننى أقدر لك سعة صدرك ، فيبدو أننى قد تطرقت معك اليوم إلى أمور عديدة ، وتحدثت معك فى أمور شتى .. ولكننى أشعر بارتياح لذلك .

ـ وأنا سعيدة من أجل ذلك .

ولكنها لم تكن صادقة فى قولها هذه المرة ، فذلك الشعور الذى يملأ نفسها ، لم يكن أبدًا شعور السعادة ..

بل الحيرة ..

كل الحيرة .

* * *

٤ ـ لوعة الحب ..

التفّ حشد من الصحفيين ورجال الإعلام حول ذلك الشاب اليافع وهو يتأهب لمغادرة معهد العلاج الطبيعى .

وسأله أحدهم قائلاً :

ـ هل تشعر بأنك تستطيع الآن السير والحركة بشكل طبيعى وعادى ؟

أجابه الشاب وعلى وجهه ابتسامة عريضة :

ـ بل والركض أيضًا .. لو أردت .

سألته مندوبة إحدى الصحف قائلة :

ـ أيعنى هذا أنك قد شفيت تمامًا من مرض الشلل النصفى ؟

قال الشاب وهو يخطو عدة خطوات إلى الأمام وسط هذا الحشد :

ـ ماذا ترين ؟

أجابته قائلة :

ـ النتيجة مبهرة حتى أننى لا أكاد أصدق .

تحدث الشاب قائلاً :

ـ أنا نفسى لا أصدق أننى قد عدت ثانية لحالتى الطبيعية .. وأننى قد شفيت تمامًا من مرضى اللعين .

وأشار إلى أحد الأشخاص فى أثناء مغادرته لإحدى حجرات المعهد قائلاً :

ـ والفضل لله .. ولهذا الرجل ، الذى سأبقى مدينًا له طوال العمر ، لنجاحه فى شفائى بوساطة عقاره السحرى .

واندفع هذا الحشد من رجال الإعلام ليلتف حول الدكتور (وحيد) يحاصره ، وسأله أحدهم قائلاً :

ـ دكتور (وحيد) .. ما رأيك الآن فى حالة الشاب المريض (حسين خيرى) ؟

ابتسم (وحيد) قائلاً :

ـ (حسين خيرى) لم يعد مريضًا الآن .

وسأل آخر :

ـ أيعنى هذا أن الدواء الذى ابتكرته قد نجح تمامًا فى شفائه ؟

ـ لقد قمت بتجربة هذا العقار على ثلاث حالات إنسانية مختلفة لمرضى الشلل النصفى ، بعضها يرجع لأسباب عضوية والبعض الآخر يرجع لصدمة عصبية شديدة ، لم ينجح العلاج النفسى فى التغلب عليها .

ولكن العنصر المشترك بين الحالات الثلاث .. أنها قد وصلت إلى حالة مرضية متأخرة .. يصعب شفاؤها .. ولقد اخترتها لهذا السبب بالذات .

فقد كان التحدى بالنسبة لى ، هو مواجهة هذا المرض البغيض فى حالاته المتأخرة بوساطة العقار الذى ابتكرته ، والذى كان ثمرة جهود طويلة من البحث والجهد المضنى حتى تمكنت فى النهاية من الوصول إلى التركيبة الفعالة لهذا العقار .

وحالة الشاب (حسين خيرى) هى إحدى هذه الحالات ، وقد رأيتم بأنفسكم النتيجة التى أدت إليها معالجته باستخدام العقار .

قالت إحدى الصحفيات معلقة :

ـ إنها نتيجة رائعة .. من يرى هذا الشاب لا يمكن أن يصدق أنه منذ شهر واحد فقط كان عاجزًا عن الحركة إلا بوساطة مقعد متحرك .

أجابها الدكتور (وحيد) :

ـ ونفس النتيجة تحققت بالنسبة للحالتين الأخريين ، وهما لسيدة متوسطة العمر ، ورجل متقدم فى السن .. أستطيع أن أجزم بأنهما قد شفيا تمامًا من الشلل النصفى .. وكل ما يحتاجان إليه الآن هو بعض

تمرينات العلاج الطبيعى فى المعهد ، تمامًا كما هو الحال بالنسبة للشاب الذى رأيتموه الآن ، بعدها سيعودان إلى حالتهما الطبيعية .

قال أحدهم :

ـ لقد مررنا عليهما الآن .. ورأينا أنهما فى طريقهما بالفعل للشفاء .

وسألت إحدى الصحفيات :

ـ وما الاسم الذى أطلقته على دوائك السحرى هذا ؟

قال لهما الدكتور (وحيد) كما لو كان قد فوجئ بالسؤال :

ـ الاسم ؟! .. فى الحقيقة إننى لم أفكر فى هذا .. على كل حال ليس المهم هو الأسماء .. المهم النتائج .. أما الاسم ، فسوف نبحث له عن تسمية فيما بعد .

قال له أحد الصحفيين :

ـ دكتور (وحيد) .. هل تعلم أنك قد أصبحت خلال الأيام الماضية أحد المشاهير فى العالم ؟ وأنه بمجرد أن تناقلت وكالات الأنباء خبر ابتكارك العجيب ، أصبحت مدعوًا إلى العديد من المؤتمرات والمحافل الطبية الدولية ؟

فضلًا عن الطلبات المقدمة من جهات صحفية وإعلامية أجنبية لعقد لقاءات وأحاديث معك ؟

ابتسم الدكتور (وحيد) قائلا :

– فى الحقيقة يا سيدى لقد أخجلتم تواضعنا .. ولو أن ما تقوله هو أصعب ما فى الأمر بالنسبة لى .. فأنا رجل لا أهتم سوى بالعلم والدراسة والطب .

أما الأضواء فهى تزعجنى .. وتشيع فى نفسى الرهبة والارتباك ، كما هو حادث بالنسبة لى الآن وأنا أتحدث إليكم .

إننى أريد أن أستمر فى عملى وأبحاثى ، ومتابعة نتائج العقار الجديد فى هدوء وبعيدا عن هذه الضجة الإعلامية التى بدأت رياحها تهب علىّ ، أما بالنسبة للمؤتمرات العلمية والطبية المتخصصة ، فأنا مستعد لحضورها بقدر ما يسمح وقتى ، وبقدر أهميتها العلمية .

قالت إحدى الصحفيات :

– فى الواقع أنك لن تستطيع تجنب هذا الاهتمام الإعلامى بعد الشهرة التى حققتها خلال الأيام الماضية ، مهما حاولت ذلك .

– إذن سأرضخ لما ستضطرنى إليه الظروف مرغما .. ولو أنى أناشد الإخوة الصحفيين والإعلاميين من خلالكم تخفيف الوطء علىّ .. ومنحى الوقت للاستمرار فى عملى .

وبجوار هذا الحشد من الإعلاميين ، وقفت الدكتورة (سناء) وصديقتها الدكتورة (دلال) يتابعان الحوار الدائر بين الدكتور (وحيد) والصحفيين ، حيث قالت الأخيرة :

– ياله من نفاق وتواضع مصطنع .

نظرت إليها (سناء) بغضب قائلة :

– (دلال) .. ما الذى تقولينه ؟

ردت عليها (دلال) قائلة وهى لا تقل عنها غضبا :

– ألا ترين ؟ إنه لم يذكرك بكلمة واحدة برغم تعبك ومجهوداتك معه طوال الفترة الماضية ؟ إنه يحاول أن ينسب الفضل كله لنفسه .

– هذا طبيعى هذا العقار هو ثمرة مجهوده العلمى وبحوثه المستمرة طوال السنين الماضية ... ومن حقه أن يفخر به .. وأن يلقى من أجله التقدير الذى يستحقه .

أما أنا فلم يزد دورى على كونى مساعدة له .. أعمل بتوجيهات وتعليمات منه طوال فترة عمله فى معهد البحوث .

إن نجاح هذا العقار وتصميم استخدامه فى المستقبل .. سيكون له أثر كبير فى شفاء ملايين المرضى ، ممن أقعدهم الشلل النصفى فى جميع أنحاء العالم ، وسيؤدى

إلى قفزة إنسانية واسعة ، ويفتح باب الأمل على مصراعيه ، بعد أن أغلق فى وجه الملايين من المنكوبين بهذا المرض .

ألا يستحق هذا فى نظرك أن ننحنى لهذا الرجل تقديرًا واحترامًا ؟

قالت (دلال) :

ـ آسفة يا (سناء) .. ولكنى لم أحتمل تجاهله لك على هذا النحو برغم إخلاصك الشديد له ، وتفانيك فى خدمته خلال السنين الماضية .

ـ هذه نظرة أنانية وضيقة من جانبك .

ـ ألم يفاتحك فى الزواج بعد ؟

ـ أكل ما يعنيك هو الزواج ؟ هناك أمور أخرى تستحق الاهتمام خاصة فى المجال الذى نعمل به أم أنك قد نسيت أنك طبيبة ؟

ـ طبيبة أم غير طبيبة .. لا غنى للفتاة عن الزواج .. خاصة إذا كان من الرجل المدلهة فى حبه ، كما هو الحال بالنسبة لسيادتك .

ـ (دلال) هل ترين أن هذا هو الوقت المناسب لإثارة هذا الحديث مرة أخرى ؟ إن الدكتور (وحيد) يتحدث الآن مع الصحفيين عن عقار طبى هام سيكون

له أثر إنسانى كبير ، ودوى عالمى ، وأنت تتحدثين عن الزواج وعن أهميته القصوى بالنسبة للفتاة !

سأل أحد الصحفيين الدكتور (وحيد) قائلا :

ـ ترى متى يمكن تعميم استخدام هذا العقار ؟

رد الدكتور (وحيد) :

ـ أعتقد أن هذا سيحتاج لبعض الوقت .. أنت تعرف الإجراءات التى يتعين اتباعها هنا ، قبل الحصول على ترخيص من وزارة الصحة ، وتعميم استخدام هذا الدواء .. كما أنه سيتم إخضاعه للتجارب بوساطة بعض اللجان الطبية المصرية والدولية المختصة قبل طرحه فى الأسواق .

سأله أحد الصحفيين قائلاً :

ـ لقد سمعنا أنه هناك معارضة من جانب الجهات الطبية المختصة للتسرع فى استخدام هذا الدواء على عينات بشرية ، دون الحصول على موافقة منها .

أجاب الدكتور (وحيد) :

ـ أعتقد أن نجاح التجربة كما شاهدتموها ، كفيل بتذليل أى معارضة .

سألته إحدى الصحفيات :

ـ كما سمعنا أن هناك بعض الشركات الدوائية الأجنبية تسعى إلى المنافسة على شراء هذا العقار :

ـ إذا كان سيتم تعميم هذا الدواء ، فسيكون ذلك عن طريق إحدى شركات الأدوية المصرية .. فلن أسمح ببيعه لشركة غير مصرية مهما كانت المغريات .

ونظر فى ساعته قائلا :

ـ أنا آسف .. ولكنى تأخرت عن المستشفى ومضطر للانصراف الآن .

وحاول أحدهم أن يحصل منه على المزيد من الحديث قائلا :

ـ ولكن يا دكتور (وحيد) ..

ولكنه قاطعه بحزم :

ـ آسف .. فلدى عملية جراحية عاجلة .

واندفع بين الحشد المتجمع حوله ليستقل سيارته وقد بدأ يشعر بانزعاج شديد ، لهذا الإلحاح من جانب الصحفيين .

ونادته (سناء) قائلة وهو يستعد لركوب السيارة :

ـ دكتور (وحيد) .

نظر إليها قائلا :

ـ دكتورة (سناء) .. لم أعلم أنك موجودة هنا .

ـ لقد جئت للاطمئنان على حالة المريض الذى عالجته باستخدام العقار وحضرت المناقشة التى أجراها معك رجال الإعلام .

سألها قائلا :

ـ وما رأيك فى النتيجة التى توصلنا إليها مع المريض ؟

ـ مدهشة .

ـ أعتقد أن هذا كفيل بتبديد ذلك القلق ، الذى أبديته تجاه تجربة العقار على عناصر إنسانية .. واتهامك لى بالتسرع .

أرادت (سناء) أن تقول له شيئا .. لكنه لم يمنحها الفرصة لذلك قائلا :

ـ آسف يا (سناء) .. ولكنى مضطر للذهاب إلى المستشفى الآن لإجراء جراحة عاجلة .

ـ بالطبع يا دكتور .. هل يمكن أن ألحق بك هناك ؟

ـ طبعا .. يمكنك أن تأتى معى لو أردت ؟

ـ كلا .. سأمر على المستشفى الذى أعمل به أولا .. ثم ألحق بك .

ـ سأكون فى انتظارك .

وانصرف (وحيد) متعجلا ، فى حين بقيت (سناء) واقفة وهى ترقبه بعينين تفيضان حبا وتقديرا .

* * *

٥ ـ دعاية إعلامية ..

انتهى (وحيد) من إجراء العملية الجراحية بنجاح .. ولكن ما إن غادر غرفة العمليات حتى لمح حشدًا آخر من الصحفيين ، يقف أمام باب غرفته فى المستشفى ، فهتف قائلاً بضيق :

ـ مرة أخرى ؟. هل سيظلون يلاحقوننى هكذا فى كل مكان ؟

قال الدكتور (سيف) :

ـ إنها الشهرة يا عزيزى .. لقد أصبحت مشهورًا يا دكتور (وحيد) ، ولابد أن تعد نفسك لهذه المطاردات الصحفية والإعلامية فى المستقبل القريب .

ـ ولكن هذا الأمر يزعجنى للغاية ويتعارض مع طبيعتى .

ـ يزعجك ؟! ليتنى كنت مكانك .

ـ من فضلك يا دكتور (سيف) .. ابحث لى عن مخرج يبعدنى عن هؤلاء المتطفلين .

ـ تعال معى .. سنذهب إلى إحدى حجرات الطوارئ

فى المستشفى ، حتى أتمكن من صرفهم .. فهذا هو المكان الوحيد الذى لن يستطيعوا أن يصلوا إليك فيه .. لأنهم لابد أنهم سيقلبون المستشفى رأسًا على عقب بحثًا عنك .

قال الدكتور (وحيد) وهو يصحبه إلى الردهة الخلفية :

ـ ولِمَ كل هذا ؟

ابتسم الدكتور (سيف) مرددًا :

ـ لِمَ كل هذا ؟! حقًا إن تواضعك يغيظنى .. لقد توصلت إلى دواء سيحيى الأمل فى نفوس الملايين من المقعدين فى مصر والعالم .. لقد أحدثت انقلابًا إنسانيًا وتتساءل لِمَ كل هذا ؟

ـ أنا لم أفكر فى شىء سوى محاربة هذا المرض اللعين .

وبينما هما فى طريقهما إلى غرفة الطوارئ قابلهما أحد زملائهما من الأطباء ، وما كاد يرى الدكتور (وحيد) حتى هتف قائلاً :

ـ دكتور (وحيد) .. حمدًا لله على أننى قابلتك .

ردّ (وحيد) :

ـ أهلا دكتور (جمال) .. ما بالك ؟

أجابه الدكتور (جمال) قائلاً :

ـ إننى أحمل إليك دعوة لحضور مؤتمر جراحة الأعصاب ، للأطباء العرب فى تونس يوم الثلاثاء القادم .

أجابه الدكتور (وحيد) :

ـ يوم الثلاثاء القادم ؟. أى بعد أربعة أيام ؟

ـ نعم .. إنهم يريدون أن تطلعهم على اكتشافك الجديد فى علاج الشلل النصفى .

ـ ولكن الوقت ضيق ..و ..

قاطعه الدكتور (جمال) :

ـ أرجوك يا دكتور (وحيد) .. إنك أهم شخصية مدعوة فى هذا المؤتمر . ولابد من حضورك . ولا تنس أنك ستمثل مصر رسميًا .. بصفتك واحدًا من أشهر أطبائها الآن .

فكر الدكتور (وحيد) برهة .. ثم قال :

ـ حسن .. إننى أوافق .. ولكن أريد من يخلصنى أولا من هؤلاء الصحفيين .

* * *

اتصل الدكتور (وحيد) تلفونيًا بالدكتورة (سناء) قائلا :

ـ آسف يا (سناء) لأننى لم أتمكن من مقابلتك فى المستشفى .. لقد انحصر اهتمامى فى الهرب من أولئك الصحفيين ، وتجنب لقائهم .. حتى أننى قد نسيت أنك تنتظريننى فى حجرتى بالمستشفى .

ولكن حتى لو تذكرت فما كنت أستطيع أن أحضر إليك ، وكل هؤلاء المتطفلين يحيطون بالحجرة .

ـ لا عليك يا دكتور .. يمكننا أن نلتقى فى مكان آخر لو أردت .

ـ أعتقد أننى لن أتمكن من ذلك فى الوقت الحالى .. فأنا سأسافر غدًا إلى (تونس) ، وسوف أقضى الليلة فى إعداد حقيبتى وأوراقى والاستعداد للسفر .

قالت له (سناء) بانزعاج :

ـ ستسافر إلى (تونس) ؟

ـ نعم .. لقد وجهت لى دعوة رسمية لحضور مؤتمر طب الأعصاب .

ـ ومتى ستعود إلى القاهرة ؟

ـ المؤتمر سيستغرق ثلاثة أيام .. وبمجرد عودتى سأتصل بك .

قالت بنبرة حزينة :

ـ تعود لنا بالسلامة يا دكتور .

وهمت بوضع السماعة .. ولكنها عادت لتقول له :
ـ سآتى لأودعك فى المطار .
ـ لا داعى لذلك .. فثلاثة أيام لا تستحق أن تكلفى نفسك وتأتى لتوديعى .
وضعت (سناء) سماعة الهاتف وهى تشعر بقلق لا تدرى كنهه .. برغم أنها لم تكن المرة الأولى التى يسافر فيها الدكتور (وحيد) طوال الفترة التى عملتها معه .. ولكنها لم تكن تشعر بالارتياح لسفره هذه المرة أبدًا ..

* * *

أطفأت الممثلة (غدير) سيجارتها ، فى مطفأة السجائر الموضوعة أمامها ، وهى تقول لوكيل أعمالها فى عصبية :
ـ لا أدرى ما فائدتك بالنسبة لى ؟.. سنة كاملة بدون عمل .. عدا هذا المسلسل التليفزيونى القصير ؟
قال لها (محسن) وكيل أعمالها :
ـ وماذا أفعل ياست الكل ؟ لقد بذلت جهدًا جبارًا خلال الأشهر الماضية ، ولكن المنتجين بدءوا يتجهون هذه الأيام إلى أفلام الأكشن والمغامرات .
وتلك الأفلام لا تحتاج إلى امرأة جميلة مثلك ، بقدر ما تحتاج إلى أبطال فى الكاراتيه والجودو .

قالت (غدير) فى عصبية :
ـ كفاك نفاقًا .. إنهم يسندون أدوارًا نسائية فى هذه الأفلام .. ثم إن التليفزيون لم يعد يتذكرنى إلا كل بضعة أعوام بدور أو آخر .. قل إننى لم أعد ألقى الإقبال الكافى كما كان من قبل .
قالت لها خادمتها معترضه :
ـ من قال هذا ؟ أنت دائمًا ست الكل .
نظرت (غدير) إلى خادمتها قائلة :
ـ قولى لى يا (ابتسام) .. هل ظهرت بعض التجاعيد على وجهى ؟
ألم أعد جميلة بالقدر الكافى ؟
أجابتها خادمتها سريعًا :
ـ بل إنك مثل القمر فى جماله .
عادت (غدير) لتسأل وكيل أعمالها :
ـ هل أنا ممثلة رديئة ؟ ألم أعد أجيد التمثيل ؟
أجابها وكيل أعمالها :
ـ الحق يقال .. إنك بارعة فى أدائك لأدوارك .
ـ إذن لماذا هذا التجاهل ؟ لقد طرقت باب الإنتاج التليفزيونى ، وباب أكثر من منتج بحثًا عن أدوار جديدة ، يمكننى أن أؤديها ، بعد انتهاء هذا المسلسل دون جدوى .

لا شىء سوى الوعود ، وبعض عبارات المجاملة السخيفة .

وهذا يعنى أننى ربما سأنتظر لفترة طويلة بعد انتهاء هذا المسلسل حتى أحصل على دور آخر .

قالت لها خادمتها :

ـ آسفة يا سيدتى ، ولكن اسمحى لى أن أتحدث معك بصراحة ، ربما كان تهافتك على العمل بهذه الطريقة هو الذى يقلل من قيمتك أمام المنتجين .

إنك لا تكتفين بالاعتماد على وكيل أعمالك ، وإنما تطرقين أبواب هؤلاء الأشخاص الذين لا يقدرون قيمتك بنفسك ، وهذا ما يجعلهم يتدللون ويتكبرون ويحاولون المساومة .. برغم أن الكل يشهد بأنك ممثلة كبيرة وذات شأن .

قالت لها (غدير) بلهجة يائسة :

ـ وماذا أفعل يا (ابتسام) .. إننى لم أعمل حسابًا للزمن .. لقد أنفقت كل ما جمعته فى أيام الرخاء فى مظاهر فارغة .. وحتى المبلغ الذى تمكنت من جمعه عندما بدأت أتنبه لنفسى مع المبلغ الذى اقترضته ، أنفقته فى مشروع فاشل لشركة إنتاج خاسرة ، أخذت كل ما ورائى وما أمامى ، وأسلمتنى للديون التى مازلت أعانى بسببها حتى الآن .

ولولا هذه الديون .. هل كنت تظنين أننى أقبل القيام بدور تافه كذلك الذى أقوم به فى هذا المسلسل الآن ؟

ولكن ماذا أفعل ؟ إننى مضطرة ! فما زال أمامى العديد من الديون التى يتعين علىَّ سدادها .

لذا فإننى مضطرة لقبول أى دور يسند إلىَّ والتغاضى عن كل ما كان يقال عن جمالى وموهبتى التمثيلية ، حتى أتمكن من سداد هذه الديون ، ولكى أعود للوقوف على قدمىَّ مرة أخرى .

لقد اضطررت لأن أريق ماء وجهى لكى أواجه هذه الأزمة التى تمرّ بى .

قال لها وكيل أعمالها :

ـ هل تسمعين منى النصيحة ؟

زفرت بضيق قائلة :

ـ ماذا تريد أن تقول ؟

أجابها قائلا :

ـ إن ما تحتاجين إليه فى هذه المرحلة دعاية جيدة .. فرقعة إعلامية تجذب إليك الأنظار ، وتجعلك محور اهتمام وحديث المجتمع لفترة طويلة .

فى هذه الحالة سيعمل الكثيرون على الاستفادة من الهالة التى ستحيط بك ، وستجدين المنتجين والمخرجين

هم الذين يسعون وراءك ويلحون عليك فى توقيع العقود معهم .. ووضع اسمك على أفيشات أفلامهم .

إننى أعمل فى هذا الوسط منذ عشرين عامًا .. وأعرف جيدا وسائل الجذب والإغراء التى تدفع بالمنتجين إلى التهافت على الممثل أو الممثلة .

دعك من الموهبة التمثيلية ، فالقليل هم الذين يهتمون بها .. هناك أشياء أخرى يحتاج إليها الممثل لكى يحظى بالاهتمام .

لقد رأيت نجومًا كثيرين ينزوون فى غياهب النسيان ؛ لأنهم لا يجيدون فن الدعاية لأنفسهم .

إذا ما تمكنت من تحقيق دعاية إعلامية قوية حولك ، فقد تجدين نفسك وقد تحولت فى فترة قصيرة إلى نجمة الجماهير ، كما هو الحال بالنسبة للممثلة (وفاء فوزى) .

قالت (غدير) متهكمة :

– ومن أين لى بمصاريف الدعاية التى تحقق لى هذا يا حكيم عصرك وأوانك ؟

أجابها وهو يتجاهل سخريتها :

– إننى لا أقصد دعاية تقليدية من ذلك النوع الذى يحتاج إلى مصاريف باهظة .

قالت متسائلة :

– إذن ماذا تقصد ؟

أجابها بخبث :

– أقصد أن نستفيد من شهرة الآخرين فى إضفاء المزيد من الشهرة على أنفسنا .

أنت تعرفين أن (وفاء حمدى) كانت ممثلة مغمورة منذ عدة أعوام .. ثم تعرّفت الصحفى المشهور (حسين شاكر) ، وتمكنت من إيقاعه فى حبائلها ، وكان نجم المجتمع وقتها .

وانتهى الأمر بهجرانه الصحافة بعد أن شهُرت به جرائد المعارضة نتيجة لصلته بهذه الممثلة ، ونسجت القصص والروايات حولها ، فى حين استفادت هى من هذه الروايات والقصص ، ولمع نجمها فى عالم السينما .. بعد أن أصبح الكثيرون يسعون لرؤية تلك الممثلة التى استطاعت أن تبعد (حسين شاكر) عن الصحافة وتدفعه إلى الهجرة خارج مصر .

قالت محتجة :

– وهل تريد منّى أن ألجأ إلى هذه الوسائل الرخيصة لجذب الأنظار إلىّ ؟

رد عليها قائلا :

– ليس بنفس الأسلوب .. إنك بحاجة إلى مصادقة

رجل مشهور .. فقط تكونين صديقة له .. تظهرين معه فى المجتمعات .. تتحمسين لفكرة أو هدف لـه قيمـة اجتماعية وإنسانية ، ويسعى هذا الرجل إلى تحقيقه .

المهم أن تعملى على أن تكونى قريبة منه بشكل أو بآخر .. وأن تكونى فى الصورة معه دائمًا .

قالت ساخرة :

ـ وإذا نسجت حولنا القصص والروايات ، كما هو الحال بالنسبة لـ (وفاء حمدى) .

رد عليها قائلا :

ـ لا بأس بالحديث عن بعض المشاعر العاطفية .. عن عرض بالزواج .. لكننا من جانبنا لن نسمح بأى حديث عن أى علاقة غير بريئة .

استمرت فى سخريتها قائلة :

ـ وهل تستطيع أن تضمن أنت ذلك ؟ إن الصحف والمجلات لا تكتفى عادة بالحديث عن العلاقات البريئة .. وفى جعبتها الكثير من القصص التى يمكنها أن تحول ذلك النوع من الصلات إلى فضائح رخيصة .

رد عليها سريعًا :

ـ لا تخافى من ذلك ، ستكون لدينا دائمًا وسائل للتكذيب .. كما أننا سنهدد دائمًا برفع قضايا تشهير فى

المحاكم ، حتى لا ندع الأمور تتطور إلى هذا الحد .

وفى النهاية ستستفيدين من كل هذا .

قالت متبرمة :

ـ مازلت أرى أن هذه وسيلة رخيصة .

قال لها منبهًا :

ـ ليس أمامنا سوى ذلك .. إذا كنت تريدين اجتياز هذه الأزمة ، والوقوف على قدميك من جديد .

سألته قائلة :

ـ وعلى فرض أننى وافقتك .. من هذا الشخص المشهور ، أو نجم المجتمع كما تقول ، الذى نحتاج إليه لتحقيق هذه الدعاية ؟

أجابها سريعًا :

ـ أهناك غيره ؟ .. إنه طبيب الأعصاب المشهور (وحيد حمدى) ، الذى حقق اكتشافه لدواء فعال فى القضاء على الشلل النصفى ضجة عالمية كبيرة .

قالت وكأنها تتذكر :

ـ (وحيد حمدى) أعتقد أننى قد رأيت برنامجًا عنه فى التليفزيون التونسى منذ بضعة أيام .

قال لها :

ـ ومن حسن حظك أنه موجود هنا الآن فى (تونس) ،

حيث يحضر مؤتمرًا طبيًا دوليًا .. وأعتقد أن فرصتك ستكون هنا فى (تونس) ، أفضل منها بكثير فى (مصر) .

قالت له ساهمة :

ـ سأفكر فى الأمر .

ولكنها كانت قد فكرت بالفعل ..

واتخذت القرار .

* * *



٦ ـ ابتسامة ساحرة ..

انتهى الدكتور (وحيد) من شرح خصائص العقار الذى توصل إليه لمكافحة الشلل النصفى ، وإلى سرد التجارب العديدة التى مر بها حتى توصل فى النهاية إلى تركيب هذا العقار ، وطريقة استخدامه والعلاج به .

وبرغم تحمس البعض لدواء الدكتور (وحيد) خلال مناقشات مؤتمر طب الأعصاب ، إلا أن البعض الآخر أبدى تحفظه ، وزعم أنه بحاجة إلى المزيد من الوقت والتجارب والدراسة ، قبل تقرير نجاحه والسماح باستخدامه .

كما أن البعض الآخر شكك فى نجاح هذا العقار ، دون تدخل جراحى ، خاصة فى حالات الشلل التى ترجع إلى أسباب عضوية .

ولكن بالرغم من كل ذلك كان الدكتور (وحيد) هو نجم المؤتمر الأول بلا جدال ، ولم يطرح فى المؤتمر أية مواضيع أخرى عدا عقار الدكتور (وحيد) .

وما إن انتهت مناقشات اليوم الأول حتى عاد الدكتور (وحيد) إلى الفندق الذى ينزل فيه ضيوف المؤتمر ، حيث استقبله فى البهو بعثة التليفزيون التونسى لإجراء حديث تليفزيونى معه حول اكتشافه الجديد .

وعندما انتهى من الحديث التليفزيونى ، كان الإرهاق قد بلغ به مبلغه ، وأحس بأنه بحاجة ماسة للحصول على دش دافئ والاسترخاء على سريره فى غرفته .

ولكن ما إن اقترب من الغرفة حتى فوجئ بثلاثة صحفيين يقفون أمامها فى انتظاره ، بالرغم من كل التنبيهات التى نبهها على إدارة الفندق ، والتشديد على منع الصحفيين من الذهاب إلى غرفته .

ولكن يبدو أن للصحفيين دائمًا وسائلهم التى يتمكنون بها من اختراق أية موانع ، واجتياز أية عقبات .

ولم يجد (وحيد) بدًا من التسلل عائدًا إلى بهو الفندق ، قبل أن يلمحه أحد هؤلاء الصحفيين .

وطرأت عليه فكرة مغادرة الفندق ، والذهاب إلى أى فندق صغير غير معروف ، ليقضى فيه ليلته ، دون أن يتيح الفرصة لأحد كى يعلم مكانه .. فهذه هى الوسيلة الوحيدة لكى ينعم بالهدوء والسكينة ، بعيدًا عن هؤلاء

الفضوليين . وبرغم أن اختفاءه المفاجئ على هذا النحو كان كفيلا بأن يقلب الدنيا رأسًا على عقب بحثًا عنه .. مع ما حظى به من شهرة . ومكانة .. إلا أنه لم يعبأ بذلك .. وقرر التسلل من الباب الخلفى للفندق وقضاء ليلته فى أى فندق آخر .. لا يثير وجوده فيه الاهتمام .

ووقف فى الشارع لينادى سيارة أجرة تقله إلى أى فندق متواضع يحدده السائق .. حينما توقفت أمامه سيارة صفراء صغيرة .. غادرتها فتاة رائعة الجمال ، وقد استرعت انتباهه بجمالها الخلاب .

وسألته قائلة :

ــ أترغب فى الذهاب إلى مكان ما ؟

قال مرتبكا ، وهو يتساءل عمن تكون هذه الفتاة الفاتنة التى تعرض عليه القيام بتوصيله :

ــ أشكرك .. إننى سأنادى سيارة أجرة .

ابتسمت فزادها ذلك جمالا وفتنة .. وهى تقول له :

ــ ولم سيارة أجرة طالما أننى أستطيع القيام بذلك ؟ إننى غير مرتبطة بالذهاب إلى مكان معين .. ويسعدنى أن أكون فى خدمة طبيب عظيم مثلك يا دكتور (وحيد) .

ارتسمت على وجهه ملامح الانزعاج ، وهو يقول :

ــ آه .. إذن فهذه التوصيلة التى تعرضينها علىّ ليست

خالصة لوجه الله ، أنت إحدى هؤلاء الصحفيات ..
وتريدين أن تتخذى من هذه التوصيلة وسيلة للحصول
على حديث صحفى .

اتسعت ابتسامتها وهى تقول :

ـ ولكنى لست صحفية .

قال مستنكرًا :

ـ وماذا تكونين إذن .. إذا لم تكونى كذلك ؟ لا داعى
لمثل هذه الحيل والأكاذيب .

ضحكت قائلة :

ـ كل هذا من أجل توصيلة ؟. حيل وأكاذيب ..
دكتور (وحيد) .. ألا تعرفنى ؟

قال لها :

ـ لا أعتقد أننى قد تشرفت بمعرفتك .

ضحكت مرة أخرى قائلة :

ـ حسن .. إننا لن نتحدث فى الطريق .. هيا اركب
ودعنى أوصلك إلى المكان الذى تريده .

وبعد قليل من التردد ركب الدكتور (وحيد) بجوارها
حيث انطلقت بالسيارة وسألته قائلة :

ـ ولكن أين سيارتك ؟

أجابها قائلاً :

ـ ليس من المعقول طبعًا أن أشحن سيارتى الخاصة
إلى (تونس) ، من أجل ثلاثة أيام أقضيها هنا .

ضحكت قائلة :

ـ لا أقصد هذا بالطبع .. ولكن أعتقد أن هناك
سيارات خاصة خصصت للأطباء المدعوين لهذا المؤتمر .

قال وهو يتأملها بطرف عينه :

ـ ألا ترين أننى قد تسللت من الباب الخلفى للفندق
هربًا من أولئك الصحفيين ؟ لم أكن فى موقف يسمح لى
باستدعاء السيارة المخصصة لى .

نظرت إليه قائلة :

ـ وإلى أين تنوى الذهاب ؟

ـ إننى أبحث عن فندق صغير أقضى فيه ليلتى .

قالت بدهشة :

ـ فندق صغير ؟ طبيب عظيم مثلك .. يبحث عن
فندق صغير ليقضى فيه ليلته ، ويهرب من فندق خمسة
نجوم ؟!

ـ لا يعنينى فى شىء أن يكون الفندق خمسة نجوم
أو نجمة واحدة ، إن ما يعنينى الآن هو أننى متعب
وأريد أن أنام فى مكان بعيد عن الإزعاج وتطفل
المتطفلين .

ابتسمت قائلة :

ـ ستلقى من هذا الكثير سواء فى (تونس) أو (مصر) ، فهذه ضريبة الشهرة .

ـ لقد كنت أتصور دائمًا أن العلماء لا يشعر بهم أحد مهما قدموا من إنجازات علمية ، ولم أكن أظن أنهم أصبحوا ينالون الآن هذه الشهرة المزعجة .

احتفظت بتلك الابتسامة الساحرة على وجهها قائلة :

ـ عندما يحيى هذا الإنجاز آمالاً عريضة لدى الآلاف فى الشفاء من مرض عضال ، فلابد أن ينال صاحبه مثل هذه الشهرة ، التى تجعله ملاحقًا من الآخرين .

نظر إليها بتمعن قائلاً :

ـ إذن فأنت تعرفين كل شىء عنى .. ألم أقل لك إنك صحفية ؟

ضحكت قائلة :

ـ أقسم بالله إننى لست صحفية .. ولكن كيف لم يتسنَ لك أن تعرفنى حتى الآن ؟

ـ قلت لك من قبل إننى لم أتشرف بمعرفتك .

نظرت إليه بتعجب كما لو كانت ترى شخصًا من المريخ قائلة :

ـ ألم تدخل سينما فى حياتك ، أو تشاهد التليفزيون ؟

تأملها قائلاً :

ـ وما شأن هذا بك ؟

أجابته قائلة :

ـ ربما كانت أعمالى قليلة فى الفترة الماضية .. ولكن لا أظن أن أحدًا لا يعرف الممثلة (غدير) .

قال بدهشة :

ـ ممثلة .. هل تقصدين أنك ..

قاطعته قائلة :

ـ هه .. هل عرفتنى ؟

حك مؤخرة رأسه بأظفاره قائلاً :

ـ مع الأسف .. إننى لا أشاهد التليفزيون كثيرًا .. كما أننى لم أدخل دار سينما منذ أن كنت فى العشرين من عمرى .

ـ شىء غريب .. إننى أعرف أن العلماء منشغلون دائمًا عن متابعة الأمور الفنية .. ولكن ليس إلى هذا الحد . أنت معذور إذن لعدم تعرّفى .

ـ فى الحقيقة إن إضفاء صفة العلماء علىّ أمر ينطوى على الكثير من المبالغة ، فما أنا سوى جراح أعصاب يهتم ببعض الأبحاث العلمية .

ابتسمت قائلة :

ـ هذا تواضع منك يا دكتور .

تأملها خلسة قائلا لنفسه :

ـ إنها تستحق أن تكون ممثلة ، فهى فتاة رائعة وفائقة الجمال .

وتعجب من نفسه .. فربما كانت هذه هى المرة الأولى فى حياته ، التى تتحرك فيها مشاعره نحو امرأة على هذا النحو .

وهز رأسه بقوة ، وكأنه ينفض عنها هذا الإحساس الغريب الذى لم يشعر به من قبل .

ويبدو أنها قد لاحظت ذلك .. إذ أنها سألته :

ـ ماذا بك يا دكتور ؟

أجابها وهو يحاول ألا ينظر إليها :

ـ لا .. لا شىء .. إلى أين أنت ذاهبة بنا ؟

ـ ألا تبحث عن فندق صغير تستطيع أن تقضى فيه ليلتك بعيدًا عن الأضواء ؟ حسن إننى أعرف فندقًا بهذه المواصفات .. سأقودك إليه .

ـ أشكرك لأنك كلفت نفسك مشقة توصيلى .. فهذه هى المرة الأولى التى أحضر فيها إلى (تونس) .. وكنت سأجد بعض الصعوبة فى البحث عن فندق فى هذه الساعة المتأخرة من الليل .

ابتسمت قائلة :

ـ يسعدنى أن أقوم بأى خدمة لك .. ومن حسن حظى أن ألتقى بك .

مرت بينهما برهة من الصمت .. عاد خلالها لينظر إليها خلسة .. ثم قال :

ـ هل تقضين إجازة هنا ؟ أم أنك فى عمل ؟

ـ بل فى عمل .. إننا نقوم بتصوير مسلسل تليفزيونى تجرى بعض أحداثه فى (تونس) .

ـ لا بد أن حياة الفنانات تكون دائمًا مليئة بالإثارة والتشويق .

قالت بمرارة .

ـ الأمر لا يكون هكذا دائمًا .. على النحو الذى تتصوره ويتصوره الآخرون . والتفتت إليه وهى تهم بقول شىء .. لكن بدا على ملامحها بعض التردد .. ثم ما لبثت أن قالت :

ـ إذا كنت ترغب فى رؤية ...

ولكنها تراجعت قائلة :

ـ كلا .. لا أعتقد أنك ستهتم بذلك .

قال لها مستغربًا :

ـ ما هذا الذى تعتقدين أنه سيثير اهتمامى ؟

ـ أعنى لو أردت أن تشاهدنا ونحن نعمل فيمكننى أن أدعوك لذلك .

ـ تقصدين وأنت تعملين فى هذا المسلسل التليفزيونى؟

ـ نعم .. ربما لم تكن مهتمًا بمشاهدة الأفلام والمسلسلات التليفزيونية ، لكن مشاهدة العمل الفنى سواء أكان تليفزيونيًا أم سينمائيًا وهو ينفذ ، يحمل فى طياته متعة أخرى ، ربما تكون أكثر تشويقًا لدى البعض من رؤية العمل نفسه .

كما أنه سيعطيك فكرة واضحة عن الجهد الذى نبذله فى أدائنا لعملنا .

ـ كان بودى تلبية دعوتك .. ولكننى مشغول كما تعرفين بالمؤتمر الذى أحضره .. وبالاجتماعات الجانبية التى تعقد بينى وبين بعض الأساتذة من الأطباء ، مما لا يدع لى وقتًا كافيًا للذهاب إلى أى مكان آخر .

ـ إننا نبدأ العمل من الخامسة مساءً ، وإلى ما بعد منتصف الليل ، فلو وجدت لديك وقتًا كافيًا يمكنك أن تأتى لحضور التصوير .. تأكد أننى سأكون سعيدة بذلك .

ـ بل أنا الذى يسعده اهتمام فنانة مشهورة مثلك بحضورى أحد أعمالها .. ولكن .. أنا لم أدخل أى استوديو للتصوير فى حياتى .

قالت باسمة ، وقد سرها أنه بدأ يستجيب لدعوتها :

ـ إن الأمر لا يمثل مشكلة .. بل تأكد أن الجميع سيسعدون لتشريف رجل تتناقل اسمه وكالات الأنباء مثلك ، لهذا العمل الفنى المتواضع .

ـ على كل حال .. سأحاول وإن كنت لا أستطيع أن أعدك بذلك .

ـ لقد انتهينا اليوم من التصوير الخارجى .. وغدًا سنقوم باستكمال باقى التصوير فى استوديو الواحة بمبنى التليفزيون التونسى .

حاول أن يبحث عن مبرر آخر للاعتذار .. لكنها قاطعته قائلة :

ـ اسم المسلسل (رحلة الأبطال) .. الدور السادس .

وتوقفت فجأة بسيارتها أمام فندق صغير هادئ قائلة :

ـ هذا هو الفندق .. إن صاحبه صديق لى .. أعطه هذا الكارت وسيهتم بأمرك .

غادر (وحيد) السيارة قائلاً :

ـ أشكرك مرة أخرى .

ابتسمت له تلك الابتسامة الساحرة التى هزت مشاعره قائلة !

ـ لو أردت أن تشكرنى حقيقة .. حاول أن تقبل

دعوتى بالحضور غدًا إلى الاستوديو ، لقد أسعدنى التعرف إليك يا دكتور (وحيد) .

ثم انطلقت بسيارتها ، فى حين وقف هو جامدًا فى مكانه لبضع لحظات ، وهو يتابعها .

وقد بدا مأخوذًا بتأثيرها عليه للغاية .

* * *



٧ ـ بلا مقاومة ..

لم ينعم الدكتور (وحيد) بالراحة التى ينشدها .. فقد قضى ليلته يفكر فى هذه الفتاة الحسناء ، التى أوقعها القدر فى طريقه ، والتى حركت فيه مشاعر كان يظن أنها لا وجود لها فى حياته بهذا اللقاء العابر .

وتعجب من نفسه .. كيف انقضت كل هذه السنوات من عمره ، دون أن يشعر بالمرأة فى حياته على هذا النحو الذى يحسه الآن ؟

لقد كانت له زميلات فى الكلية وفى المستشفى .. وكانت هناك (سناء) معه فى المعمل لكن أيا منهن لم تشعره بوجودها كامرأة .. ولم تلهب عاطفته على هذا النحو وبهذه السرعة العجيبة .

ربما كان ذلك راجعًا إلى خمود عاطفته ، واستحواذ الطب والجراحة والدراسات العلمية على تفكيره .

أو ربما لأنه لم يلتق فى حياته بفتاة لها كل هذه الفتنة والسحر ، اللذين تبدو عليهما (غدير) .

أو ربما لأنه بطبيعته خجول ، وقليل الخبرة ، فى كل ما يتعلق بعالم المرأة .

لقد مر عليه وقت أحس فيه بأنه يميل إلى (سناء) ، خاصة مع كل ما منحته له من اهتمام ورعاية ، سواء فى حياته الشخصية أو العملية .. كما أنها كانت أكثر فهمًا لطبيعة عمله .

وفى الأيام الأخيرة .. كان يردد لنفسه أنه إذا فكر يومًا ما فى الزواج ، فإن (سناء) ستكون هى الفتاة المرشحة لكى تصبح زوجة له .

ولكن إحساسه بـ (سناء) مختلف تمامًا عن هذا الإحساس الذى يشعر به الآن .

فلأول مرة فى حياته المزدحمة بالدراسات العلمية والعمليات الجراحية والمشارط والعقاقير .. يجد أن هذه الحياة يمكن أن يكون لها لون وطعم آخر ، لأول مرة يجد نفسه مأخوذًا على هذا النحو تجاه امرأة .

وهذا يعنى أن هناك فارقًا كبيرًا بين أن يشعر المرء بالتقدير والامتنان تجاه امرأة تمنحه رعايتها ومساعدتها ، وبين أن يفتن بفتاة ويجد نفسه واقعًا تحت تأثير سحرها .

وفى اليوم التالى لم يكن الدكتور (وحيد) يتابع ما يدور فى المؤتمر الطبى بتركيز كامل ، بل بدا لأول مرة عاجزًا عن التركيز فى مثل هذه المؤتمرات العلمية ،

فقد كانت صورة (غدير) ماثلة أمامه بكل إيحاءاتها وابتساماتها الساحرة ، وضحكاتها التى خلبت لبه .

وأحس بشىء من الخجل تجاه نفسه .. فها هو العالم الكبير الذى يشار إليه بالبنان ، والذى أصبح محور حديث الأوساط العلمية ، يسلم نفسه لمشاعر مراهقة ، تدفعه إلى التعلق بفنانة التقى بها بالأمس فقط ، عن طريق المصادفة ، وإلى الحد الذى يجعله شاردًا عاجزًا عن التركيز .

ترى ماذا يقول عنه هؤلاء الذين جاءوا يشاركونه ذلك المؤتمر ، لو عرفوا أنه بعيد عنهم الآن ، وعن نظرياتهم وتحليلاتهم العلمية .. وأنه منشغل عنهم بوجه جذاب لفتاة يتراقص أمام عينيه .. ولا يستطيع أن يبعد تفكيره عنه .

وقال لنفسه :

ـ يالك من غرّ ساذج يادكتور (وحيد) ، يختفى تحت معطف الأطباء والعلماء .

ولكن صوتًا آخر جاء من أعماقه ليرد على هذا الاتهام قائلاً :

ـ بل قل : متعطش للحب الذى حرمت طوال حياتك منه .. وأنت غارق إلى أذنيك بين مشارط الجراحة وقوارير المعامل .

إن تعطشك للحب هو الذى جعل قلبك يخفق بين ضلوعك ، وقد أيقظته تلك الابتسامة الساحرة ، وذلك الوجه الفاتن الذى وضعه القدر فى طريقك .

وتنبه الدكتور (وحيد) على صوت رئيس المؤتمر وهو يكرر له النداء قائلاً :

ـ دكتور (وحيد) .. دكتور (وحيد) .

وتطلع إليه (وحيد) قائلاً :

ـ نعم .

قال رئيس المؤتمر :

ـ لقد سألتك : ما رأيك فى تلك النظرية الجديدة فى الجراحة التى شرحها الآن الدكتور (غسان) ؟

قال الدكتور (وحيد) خجلا :

ـ آسف يبدو أننى لم أكن منتبهًا جيدًا فى أثناء الشرح ..

وغرق فى أفكاره ثانية ..

* * *

نظرت (غدير) إلى ساعتها وعلى وجهها ملامح القلق .. لقد كانت تأمل فى حضوره التصوير اليوم .. إذ إن حضور شخص هام مثله من أجلها ، والتظاهر بأن هناك صلة ما تربطها به ، سيكون بمثابة دعاية طيبة لها ، أمام مخرج المسلسل وزملائها من الفنانين

والعاملين فى المسلسل .. وستكون هذه هى البداية التى تحتاج إليها قبل أن توطد صلتها به .

ولكن هل سيحضر ، أو يعتبر الأمر بينهما قد انتهى عند هذا الحد ؟

إن ثقتها بنفسها وخبرتها كفنانة وامرأة لها صلات اجتماعية متعددة تؤكد لها أنها قد تركت أثرًا ما فى نفسه بعد لقاء الأمس . لقد أحست بذلك ورأته فى عينيه وفى تعبيرات وجهه .

ولكن هل كان هذا الأثر كافيًا وفعالاً على النحو الذى يدفعه إلى الحضور كما طلبت منه ؟ أم أنه مجرد تأثير وقتى عابر ، انتهى بانتهاء هذا اللقاء السريع ؟

وبينما هى فى هذه الحالة من التفكير اقترب منها زميلها فى المسلسل (حسن نور الدين) ، قائلاً :

ـ هل تنتظرين أحدًا يا (غدير) ؟

التفتت إليه قائلة :

ـ هه .. نعم صديق .. صديق كان يرغب فى الحضور فى أثناء التسجيل .

سألها قائلاً :

ـ هل أعرفه ؟

ـ كلا .. وهو من خارج الوسط الفنى .

ـ ولكن يجب أن تستعدى للمشهد القادم .

ونادى المخرج قائلاً :

ـ (غدير) .. هيا سنبدأ التصوير .

قالت بامتعاض :

ـ يبدو أنه لن يحضر .. كما أننى لم أستعد حتى لأداء المشهد .

ـ اطلبى مهلة من المخرج للاستعداد للمشهد .

ـ كلا .. إننى سأعتمد على ما حفظته عن الدور سابقًا .

ودارت كاميرات التليفزيون ، فى حين وقفت (غدير) لتؤدى دورها فى المسلسل . وفى أثناء ذلك حضر الدكتور (وحيد) إلى الاستوديو حيث اعترضه أحد العاملين وهو يهمس قائلاً :

ـ أى خدمة ؟

قال (وحيد) متحرجًا :

ـ لقد جئت .. بناءً على دعوة من الفنانة (غدير) .

قال له عامل الأستوديو :

ـ من فضلك انتظر قليلاً هنا الآن حتى لا يفسد دخولك المشهد الذى يؤدى .

أشار له (وحيد) بالموافقة قائلاً :

ـ حسن .. حسن .. سأنتظر .

وبعد أن انتهت (غدير) من أداء المشهد المطلوب توجه إليها المخرج قائلاً :

ـ ماذا بك يا (غدير) ؟ إنك لم تكونى موفقة فى أداء هذا المشهد .

ردت عليه تعتذر :

ـ آسفة يبدو أننى لم أستعد لأدائه جيدًا .

المخرج :

ـ حسن .. عليك أن تستعدى خلال عشر دقائق من الآن ، فسوف نعيد تصوير هذا المشهد من جديد .

وفى أثناء ذلك حضر إليها عامل الاستوديو ليخبرها بحضور الدكتور (وحيد) . وتهلل وجه (غدير) بالفرحة .. وطلبت منه أن يدخله فورًا .

ثم اندفعت نحو الباب لتستقبله مرحبة ، وكأنها تعرفه منذ سنوات بعيدة ، وهى تقول :

ـ أهلاً .. أهلاً دكتور (وحيد) .. كم أنا سعيدة لأنك لبيت دعوتى .

قال وهو يشعر بحرج من الوجوه التى تطلعت إليه :

ـ لقد انتهزت فرصة انتهاء أعمال المؤتمر فى توقيت مبكر ، للحضور كما وعدتك .

تأبطت ذراعه وهى تقوده إلى داخل الاستوديو :

ـ كنت أعرف أنه سيكون لى خاطر عندك .

واقتربت من المخرج الذى تطلع إليها وفى عينيه نظرة تساؤل وقلق ، لعدم استعدادها للمشهد المقبل ، حيث بادرته قائلة :

ـ أستاذ (سالم) ، أقدم لك صديقى العزيز الدكتور (وحيد) جراح الأعصاب المشهور .

وفجأة تغيرت معالم وجه المخرج وهو يشير إلى الدكتور (وحيد) قائلا :

ـ الدكتور (وحيد حمدى) .. صاحب عقار علاج الشلل النصفى ؟!

تلعثم الدكتور (وحيد) قائلا :

ـ إننى .. أعنى ..

ولكن المخرج قاطعه قائلا :

ـ إنه لشرف عظيم يا دكتور (وحيد) أن تشرفنا فى الاستوديو .

ـ أخشى أن يكون فى وجودى تعطيل لكم عن العمل .

قال المخرج وكأنه يستنكر ما يقوله :

ـ أهذا كلام يا دكتور ؟ .. يمكن للعمل أن ينتظر أمام تشريف شخص له مكانتك العلمية .. إننى والكثيرين

هنا كنا نتمنى أن نلتقى بشخص مثلك ، وهاهى قد واتتنا الفرصة على يد (غدير) للقائك والترحيب بك .

قال الدكتور وهو يشعر بالخجل .

ـ أشكرك على هذا الاستقبال .. ولكن من فضلك استمروا فى عملكم كما لو كنت غير موجود ، فقد جئت خصيصًا بناءً على دعوة الفنانة (غدير) لأرا كم وأنتم تعملون .

ـ كما تريد .. ولكن يجب أولا إعلام الجميع بأنك موجود معنا هنا فى الاستوديو .

حاول الدكتور (وحيد) أن يثنيه عن ذلك .. ولكن قبل أن يقول شيئًا نادى المخرج العاملين فى الاستوديو قائلا :

ـ أيها الزملاء .. هل تعرفون من معنا الآن فى الاستوديو ؟ إنه الدكتور (وحيد حمدى) جراح الأعصاب ، والعالم المصرى المشهور .

تزاحموا جميعًا حوله يصافحونه ويرحبون به .. وقد زاده ذلك حرجًا ، فى حين كانت (غدير) سعيدة للغاية .. لأنها استطاعت فى وقت قصير أن تلفت الأنظار إليها ، وإلى هذا الرجل الذى تأبطت ذراعه .. وأصبح محور اهتمام الجميع .

وسألها بعض زميلاتها بهمس :

ــ منذ متى تعرفين الدكتور (وحيد) ؟

قالت (غدير) باستعلاء :

ــ منذ شهر تقريبًا .

واقترب منها زميلها (حسن نور الدين) ليهمس لها قائلاً بلهجة تهكمية :

ــ لم أكن أعرف أنك تصادقين شخصية هامة مثل الدكتور (وحيد) .

قالت وهى تنظر إليه بتحدٍ :

ــ ولم لا ؟ وهل نسيت أننى فنانة ؟. إذا كان هو مشهور فى مجال عمله .. فأنا أيضًا لى شهرتى التى تزيد عليه .. فأنا نجمة سينمائية يعرفنى الجميع منذ سنوات ، أما هو فما زال غير معروف إلا بالنسبة للأوساط العلمية .. وشهرته العلمية لم تتعدَ أسابيع قلائل .

ابتسم (حسن) قائلاً :

ــ إننى موافق على أنك فنانة .. أما مسألة نجمة هذه ...

قاطعته بغضب :

ــ (حسن) .

ضحك قائلاً :

ــ لا تغضبى .. إننى أمزح معك .. يجب أن توافقينى علىَ أنه وإن كان الدكتور (وحيد) قد بدأ يصبح معروفًا ومشهورًا منذ بضعة أسابيع قلائل ، إلا أن شهرته تفوقنا جميعًا الآن .

على الأقل فنحن معروفون فى مصر وبعض البلاد العربية ، أما هو فإن اكتشافه الجديد لعلاج الشلل ، جعله معروفًا على المستوى العالمى .. خاصة بعد نجاحه فى شفاء عدد من الحالات المستعصية بوساطة هذا الدواء . ولذا فإن أمثالنا يجب أن ينحنوا له احترامًا .

هل رأيت كيف أن معاملة المخرج لك قد تغيرت بعد إحضارك له هنا ؟ وعلى كل فما زلت غير مصدق مسألة الصداقة هذه ؟

كظمت غضبها ، وهى تقول :

ــ إذن .. ماذا تظن الصلة بيننا ؟ لقد رأيتنى بنفسك استقبله أمام الجميع كصديق .

وقبل أن يعلق (حسن) بشىء .. نادى المخرج الذى كان قد انتهى من مجالسة الدكتور (وحيد) قائلاً :

ــ هيا يا (غدير) .. استعدى للمشهد القادم .

وجلس (وحيد) يراقبها وهى تؤدى المشهد بإعجاب واضح .

إن مالم يقلـه لها ، هو أنه وجـد نفسـه مدفوعًا للحضور إلى هذا المكان برغم كل تحفظاته السابقة ، لسبب واحد هو أنه كان يريد أن يراها مرة أخرى . وما إن انتهت من أداء المشهد المطلوب حتى اتجهت إليه قائلة بدلال :

ـ ما رأيك ؟ هل أعجبتك ؟

قال الدكتور (وحيد) معبرًا عن إعجابه :

ـ برغم أننى لا أفهم كثيرًا فى فن التمثيل ، لكنى أرى أنك قد أديت دورك بامتياز .

ضحكت قائلة :

ـ أشكرك على هذه المجاملة اللطيفة .

وهمست له :

ـ هل تناولت عشاءك ؟

ـ فى الحقيقة إننى أكتفى غالبًا فى عشائى بكوب من الزبادى .

همست فى إغراء وهى تحاصره بنظراتها مما اضطره لأن يخفض بصره !

ـ وماذا لو دعوتك الآن لأحد المطاعم التونسية ؟

وتلعثم قائلاً : وهو يفرك راحتيه كتلميذ خجول :

ـ لا أريد أن أرفض دعوتك .. ولكن ..

جذبته من يده قائلة :

ـ مادمت لا تريد أن ترفضها ، إذن فقد قبلتها .. هيا قبل أن ينتبه إلينا بقية العاملين فى الاستوديو .. فهم ينوون محاصرتك ..

وجد نفسه منقادًا معها إلى حيث تأخذه .. وفى أعماق نفسه كان سعيدًا بهذا الاستسلام .. ولم يكن مستعدًا للمقاومة .

لم يكن مستعدًا لهذا قط .

* * *



٨ ـ نجمة الجماهير ..

كان ذلك المطعم التونسى الذى اصطحبته إليه (غدير) من المطاعم الأنيقة التى يرتادها علية القوم ، والتى تتكلف فيها الأطعمة مبالغ باهظة ، ويختلف فى مظهره وفى مرتاديه عن ذلك المطعم البسيط ، الذى صحبته إليه (سناء) على الرغم من أنه كان شيئًا مختلفًا وجديدًا فى حياته الروتينية .. ولكن ماذا يقول عن هذا المطعم ، الذى يشعر إزاءه بالانبهار ؟

ولم يكن هذا هو الشىء الوحيد الذى أصبح مختلفًا ومبهرًا فى حياته ، منذ أن تعرّف (غدير) .

فلقد تعودت هذه الفتاة أن تبهره كل يوم بشىء جديد ومختلف .. سواء فى الفترة القصيرة التى التقى فيها بها فى (تونس) ، أو بعد عودتهما إلى (مصر) .

كانت (غدير) فى حد ذاتها إنسانة مبهرة فى كل شىء ، فى مظهرها .. فى ابتسامتها فى تصرفاتها .

ومنذ هذا اللقاء فى (تونس) ، أصبحت هى الشىء الرئيسى الذى يسيطر على تفكير (وحيد) .. حتى

أصبح أقل اهتمامًا وحماسًا تجاه أبحاثه ودراساته المعملية .

لقد تعود على أن يلتقى بها أكثر من مرة خلال الأسبوع .. وكانت تتعمد دائمًا أن تظهر معه فى الأماكن العامة ، وتصحبه إلى المجتمعات ، لتلفت الأنظار إليهما معًا .

أما (سناء) فقد أحست بأنها انزوت فى الظل بعيدًا عن حياة (وحيد) بعد أن استحوذت عليه (غدير) تمامًا .

وبرغم تعاستها وشقائها لهزيمة حبها على هذا النحو .. إلا أنها لم تكن مستعدة للابتعاد عن (وحيد) .

كانت مستعدة للرضا بأى قدر ضئيل يسمح به لها فى حياته .. لكنها لم تكن قادرة على الابتعاد عنه تمامًا .. فما زال هذا الرجل هو الرجل الوحيد فى حياتها الذى أحبته .

لقد تعودت على كتمان هذا الحب فى قلبها ، والاكتفاء بقربها منه .. على أمل أن يشعر بها يومًا ما .. وأن يدرك مدى الحب الذى تحمله له بين جوانحها .

وقد أحست ذات يوم بأن هذا الأمل على وشك أن يتحقق ويصبح حقيقة .

ولكن هاهو الحلم يتسرب من بين يديها .. ويذهب إلى إنسانة أخرى غريمة ، لها من الأسلحه والمفاتن مالا يتوافر لها .. ومالا يمكنها تحديه .

لقد أصبح الأمر أشد إيلامًا لها .. فقد كانت قانعة بأن تكون بجواره تساعده فى عمله .. تهتم بأموره الشخصية .. ترتب له مواعيده .. برغم تجاهله لمشاعرها .. كان يكفيها أن تكون معه .. وأن تكون هى المرأة الوحيدة فى حياته .. حتى لو كان دور هذه المرأة هو دور السكرتيرة الخاصة .. أو مديرة المنزل .. بالإضافة لدورها كمساعدة له .. ولكن كيف يمكنها أن تتحمل الآن ذلك الإحساس المضنى بأن هناك امرأة أخرى فى حياته ؟

امرأة عرفت الطريق إلى قلبه وتفكيره .. وعلى نحو جعله ينشغل حتى عن عمله وأبحاثه التى كانت كل حياته ؟

وأحست بأنها ناقمة على نفسها .. فما الذى يجعلها ترضى بهذه المهانة لقلبها ومشاعرها ؟

ولماذا ترضى بهذه المذلة .. وتبحث لنفسها عن مكان ولو ضئيل فى حياته التى استحوذت عليها تلك الممثلة ؟

لمَ لا تنهى هذه الفترة من حياتها ، وكفاها ما ضاع من العمر فى انتظاره ؟ لماذا لا تقتلعه تمامًا من حياتها وتفكيرها وتدع الفرصة لقلبها ومشاعرها كى تتفتح لعاطفة جديدة وحياة جديدة ؟

إنها الآن طبيبة ناجحة .. وهى على قدر لا بأس به من الجمال .. وكثيرون من الخطاب يطلبون ودّها ، وعلى رأسهم الدكتور (فؤاد) الذى رفضت طلبه للزواج أكثر من مرة .. وعلى الرغم من ذلك ما زال متمسكًا بها ولم يفقد الأمل ؟

لقد كانت (دلال) محقة فيما قالته .. إنه لم ولن يشعر بها .. برغم أن خيالها صور لها ذلك أحيانًا ..

وإن عليها ألا تضيع عمرها فى انتظاره .. وهو قول أصبح أكثر صدقًا .. بعد أن دخلت هذه المرأة فى حياته .. وأصبحت هى شغله الشاغل على هذا النحو .

وجاءتها الإجابة على كل تلك الأسئلة الثائرة التى تدور فى ذهنها .

إنها لا تملك القدرة على هجرانه تمامًا .

ولا تقوى على الانصياع لصوت العقل والمنطق .. لأنها ما زالت تحبه .. وتحبه بكل جوارحها .

وتساقطت عبرة على إحدى وجنتيها .. وهى تدعو

الله أن يخلصها من هذا الحب . الذى لم تجن من ورائه سوى الألم والشقاء .

* * *

قال الدكتور (وحيد) لـ (غدير) وهو يصحبها بعد انتهائها من تصوير آخر المشاهد فى المسلسل الذى تؤديه :

– أعتقد أن انتهاءك من هذا المسلسل سيتيح لنا وقتًا أطول لكى نتلاقى .

ضحكت قائلة :

– ولكننا نتلاقى دائمًا .

قال (وحيد) وهو ممسك بعجلة قيادة السيارة :

– نعم .. ولكن دائمًا ما يكون لقاؤنا مزدحمًا بوجود الآخرين .

– هل نسيت أننى فنانة ؟ الفنانة دائمًا محاطة بالآخرين ، سواء من الزملاء أو المعجبين .. أو ممن تفرض عليها ظروف المهنة التعامل معهم اجتماعيًا .

أوقف سيارته فجأة بجوار الرصيف المجاور للكورنيش قائلاً :

– ولكن .. أنا يا (غدير) .. أعنى ...

ولم يجد الشجاعة الكافية لأن يقول لها ما أراد أن

يقوله .. وأن يعبر لها عن حقيقة مشاعره وقوة عاطفته نحوها .. فاكتفى بالصمت .

فسألته قائلة ، وهى تحاصره بتلك النظرات الملتهبة .

– أنت ماذا ؟

وبدلاً من أن يجيبها .. سألها قائلاً :

– هل أسألك سؤالاً وتجيبين عنه بصراحة ؟

ابتسمت قائلة :

– بالطبع .

عاد ليسأل :

– هل كان لقاؤنا حقًا فى ذلك الفندق بـ (تونس) ، من قبيل المصادفة ؟ أم كان أمرًا متعمدًا من جانبك ؟

صمتت برهة وهى تنظر إلى الطريق أمامها قبل أن تقول :

– بل كان متعمدًا .. بل سعيت بالفعل للقائك .

أطلق تنهيدة قصيرة قبل أن يقول :

– هذا ما أحسسته .. ولكن لماذا ؟ لماذا سعيت إلى هذا اللقاء ؟

وقبل أن يتلقى إجابتها استطرد قائلاً :

– لا بد أنه من أجل هذه الشهرة اللعينة التى هبطت

على فجأة .. لم يكن اهتماما بشخصى .. قدر الاهتمام بلقاء هذا الطبيب اللامع .. الذى جذب إليه الأنظار خلال الفترة الماضية .

قالت وهى تستخدم براعتها التمثيلية قائلة :

– هل تريد منى أن أكون صريحة معك ؟

– بل أرجو هذا .

واصلت (غدير) أداءها التمثيلى وهى تتظاهر بالحزن قائلة :

– إننى أرعى إحدى الحالات الإنسانية .. ابنة أحد العاملين من البسطاء ممن يعملون معنا .. مصابة بالشلل النصفى .

لقد ساعدت بقدر المستطاع وبطريقة مستترة ، لكى يتوفر لهذه الطفلة الشفاء .. ولكن العلاج لم يأت بنتيجة حاسمة .

ولما كنت قد قررت تبنى حالة هذه الطفلة التى كانت إمكانيات أبيها عاجزة عن توفير أى قدر من العلاج المناسب لها .. فضلاً عن أن الأطباء أنفسهم قرروا أنها من الحالات المستعصية .. فإن اكتشافك لهذا العقار فتح أمامى وأمام والدها باب الأمل .. وقررت أن أسعى بطريقتى الخاصة . إلى لقائك والتقرب إليك .. لمساعدتنا فى علاج هذه الطفلة المسكينة .

قال وقد تأثر بهذا الأداء الإنسانى :

– لم تكونى بحاجة إلى كل هذا ؟ فالدواء سيطرح عما قريب فى الأسواق ، ويمكن لهذه الطفلة أن تعالج به ، شأنها فى ذلك شأن أى شخص آخر .

بل كان يمكنك أن تعرضى الأمر علىّ بطريقة مباشرة .. دون حاجة إلى تدبير هذا اللقاء المتعمد ، ولهذا الالتفاف .

– كان تصورى .. أنه بعد أن أصبحت طبيبًا شهيرًا له اسمه ومكانته .. فإنك لم تكن لتقبل الأمر بسهولة .. كما أن طرح الدواء فى الأسواق كان سيحتاج إلى وقت طويل .. خاصة بعد المجادلات التى دارت حوله .. وإخضاعه لفحص عدد من اللجان العلمية المتخصصة .

لذا تصورت أننى من الممكن أن أختصر الوقت ، وأحاول إقناعك بعد التقرب إليك بأن تباشر هذه الحالة بنفسك .

ارتسمت على وجهه ملامح خيبة الأمل وهو يقول :

– إذن .. فقد أردت التأثير علىّ واستغلالى .. لا أكثر .. مع تقديرى لدوافعك الإنسانية .. فلابد أن أعترف بأن هذا جاء مخيبًا لآمالى .

حاولت أن تقول شيئًا ، ولكنه قاطعها قائلاً :

ـ وعلى كل حال .. فإن ما ترغبينه يصعب تنفيذه فى الوقت الحالى .

إذ إن الأشخاص الذين توليت علاجهم بالعقار الذى اكتشفته .. كانوا يدخلون ضمن إطار ما يسمى بعينات تجارب .. وحتى هؤلاء .. قررت أن أجرب معهم العقار دون الحصول على موافقة صريحة .. من الجهات الطبية المختصة ، ودون علم من وزارة الصحة أو وزارة البحث العلمى .

إذ إن استخدام بعض الأشخاص كعينات تجارب يحتاج إلى موافقة من تلك الجهات ، مهما كانت الدوافع أو الأسباب .. وهناك تحقيق يدور معى بهذا الشأن ، كما أنه قد أصبح محظورًا علىّ استخدام العقار مع أى شخص آخر قبل انتهاء التحقيق .. وقبل أن تتقرر صلاحيته بصفة نهائية من اللجنة المختصة .

وهكذا فلن أستطيع أن أفيدك .. فى شأن علاج تلك الطفلة .. وإن كان يمكننى أن أفحصها وأقرر مدى فاعلية الدواء بالنسبة لها ، لو أردت ، دون استخدامه .

ـ ولكنك لم تسمعنى حتى النهاية .. هكذا كان الأمر فى البداية .. أن أسعى إليك لتساعدنى على علاج هذه الطفلة .. ولكنى لا أنكر أنه اختلف بالنسبة لى فيما بعد .

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ لقد أعجبت بك فيما بعد .. اكتشفت فيك شخصية إنسان ذى قلب كبير ومشاعر فياضة .. رأيت فيك رجلا بمعنى الكلمة .. وربما هذا مالم يره غيرى ممن يشيدون بخبراتك العلمية .

ومنذ ذلك اللقاء فى (تونس) .. أصبحت تمثل شيئا هامًا فى حياتى .

ـ حقًا يا (غدير) ؟

ابتسمت قائلة :

ـ والآن .. هل سنبقى متوقفين هكذا .. أم سنذهب لحضور السهرة التى دعتنا إليها (إلهام) ؟

قال وفى صوته نبرة رجاء :

ـ ليتنا نبقى هكذا :

ثم أردف بعد برهة من الصمت :

ـ إننى أكره تلك السهرات والحفلات .

ـ ولكنها أمور لابد منها لتوطيد العلاقات الاجتماعية .

ـ إنها غالبًا ما تكون مرتعًا خصبًا للمنافقين .. وأنا أبغض النفاق .

ـ يجب أن تتعلم الحياة يا عزيزى .

ـ أية حياة هذه التى تمتلئ بالكذب والمجاملات

الفارغة ، والخوض فى سيرة الآخرين .. والطعن أحيانا فى ظهورهم ؟!

ـ إنها أمور اعتدنا عليها فى عالمنا الفنى .

ـ ولكن .. ليس لهذا أية علاقة بالفن .

ـ مشكلتك أنك مثالى أكثر مما يجب .. ولكن من فضلك انس هذه المثالية الآن ، وهيا بنا إلى حفل (إلهام) فقد تأخرنا عليها .

ـ أما زلت تصرين على أن أكون معك ؟

ـ إننى أشعر دائما بحاجتى إلى وجودك معى .

وأحس (وحيد) بالاغتباط لدى سماعه لهذه العبارة ، إلى الحد الذى أنساه كراهيته لذلك النوع من الحفلات والسهرات .. فانطلق بسيارته إلى حفل الممثلة (إلهام) .

* * *

شهدت الأيام التالية رواجا فنيا حقيقيا للفنانة (غدير).. فقد بدأ عدد من المنتجين والمخرجين يتصلون بها ، ويعرضون عليها العمل معهم وتوقيع عقود عدة أفلام .

وتوالت عليها الروايات والسناريوهات لتقرأها وتختار منها ما تشاء ، وثبتت فاعلية نظرية وكيل أعمالها ، فى جذب الأنظار إليها عن طريق الارتباط بشخص يكون هو رجل الساعة .

لقد أثمرت صلتها بالدكتور (وحيد) وخطتها فى ارتياد المجتمعات الفنية وغير الفنية معه ، للإيحاء بوجود عاطفة قوية تربط بينهما .

وجاءت إجاباتها الذكية التى تنطوى على أكثر من معنى للصحفيين لتوحى بذلك دون أن تؤكده .

وهكذا نجحت لعبتها .. واستطاعت أن تعود بفضل علاقتها بـ (وحيد) إلى الأضواء من جديد .. وهيأت نفسها لتكون نجمة الموسم الفنى القادم .

وبدأت اللعبة تتخذ منحنى جديدًا .

* * *



٩ ـ لعبة النجاح ..

هتف المنتج قائلا :

ـ ولكن المبلغ الذى تطلبينه كبير جدًا يا عزيزتى .

أجابته بكبرياء :

ـ لن أوقع العقد بأقل من هذا .

قال وفى صوته رنة رجاء :

ـ أنت تعرفين أن الفيلم سيصور فى عدة دول مختلفة وهذا يعنى أنه سيحتاج إلى مصاريف كثيرة .

أجابته (غدير) :

ـ يا (مدكور) بك .. اسمى الفنى سيجعل العائد كبيرًا أيضًا .. بما يكفى لتغطية مصاريفك ، وتحقيق ربح جيد .

المنتج :

ـ الأفلام السينمائية اليوم لا تكاد تغطى تكاليفها .

ـ لو كانت كذلك لما استمررت فى العمل بها وإنتاج الأفلام .. ثم لا تنس الأرباح التى ستحققها من الفيديو .

(مدكور) بك .. هذا عمل فنى . لذا فلسنا بحاجة إلى المساومة .. إذا لم أكن أحظى فى نظرك بتقدير فنى

يستحق منك المخاطرة بأموالك .. فلا داعى لهذا العقد ولنبق كما كنا أصدقاء .

سارع المنتج قائلا :

ـ كلا بالطبع .. إنك تحظين بكل تقدير .. ولكن الإمكانيات ..

قاطعته فى حسم :

ـ هذه مشكلتك .

ـ إذن فأنت مصممة .

ـ هذا هو المبلغ الذى يتناسب مع سمعتى الفنية .

قال فى نفسه وهو يكظم غيظه :

ـ سمعتك الفنية .. سمعتك الفنية هذه لا تساوى شيئا .

ورسم الابتسامة على وجهه قائلا :

ـ حسن .. إننى موافق .. ولكن بشرط .

ـ أى شرط .

ـ أن نستعين بالدكتور (وحيد) فى الدعاية .

هتفت فى دهشة :

ـ الدكتور (وحيد) ؟! وما شأن الدكتور (وحيد) بذلك ؟

ـ يا عزيزتى (غدير) .. إننى أدرى الناس بهذه الأمور .. الدكتور (وحيد) الآن شخصية معروفة ..

وارتباطك به سيضفى دعاية جيدة على الفيلم .

– حسن .. الكل يعرف أننى والدكتور (وحيد) أصدقاء .

المنتج :

– بل هناك كثيرون يقولون إن هذه العلاقة تنطوى على ما هو أكثر من الصداقة .

قالت فى غضب :

– ماذا تعنى ؟

قال المنتج بخبث :

– أرجوك لا تنفعلى .. إننى لا أقصد شيئا سيئا لا سمح الله .. ولكنى أعنى أن تسريب خبر صغير إلى الصحافة الفنية ، عن وجود عاطفة حب قوية تجمع بينك وبين الدكتور (وحيد) . أو مشروع خطبة ، حتى لو اضطررنا إلى تكذيبه فيما بعد ، سيضفى بريقا خاصا على فيلمنا القادم .

انفعلت قائلة :

– كيف تريد أن أتقول بما ليس حقيقيا ؟

– دعينا نتول هذه المهمة عنك .. ولكن انتظرى قليلا قبل أن تنفى الإشاعة ، إلى أن تأتى بمفعولها ، وتترك آثارها فى نفوس الناس وأفكارهم .

– ولكن لم اللجوء إلى هذه الطرق الرخيصة ؟.. من المفروض أنك جئت لتتعاقد مع فنانة تحترم فنها ، وترى أنها تصلح لاداء الدور المنوط بها القيام به .

ما شأن الفيلم بارتباط فلان بفلانة ؟

– كلانا يعلم أهمية هذه الأمور .. وأن الفيلم هو سلعة شأنها شأن أى منتج آخر .. لا يعتمد على الجودة فقط .. ولكن يحتاج لأمور أخرى بجوار الجودة الفنية .. مثل الدعاية .

– ألا توجد وسائل أخرى للدعاية غير هذه الوسائل ، التى تعتمد على الإشاعات وتلفيق الأكاذيب ؟

– بصراحة .. لولا ارتباطك بالدكتور (وحيد) .. وبدون ترويج إشاعة حول وجود علاقة عاطفية أو خطبة بينكما . لما تعاقدت معك على تمثيل هذا الفيلم ، مع تقديرى الكامل واحترامى لموهبتك الفنية .

لقد قبلت كل شروطك .. وعليك أنت أيضا أن تقبلى هذا الشرط . وإلا ألغينا التعاقد .

ونهض وهو يستطرد :

– فكرى .. وردى على هذه الليلة .. سأنتظر منك مكالمة تليفونية فى مكتبى .

أطلقت زفرة قصيرة وهى تمد يدها لتتناول منه العقد قائلة :

ـ لا حاجة للاتصالات التليفونية .. لقد قبلت شرطك .. هات العقد لأوقعه .

قدم لها العقد السينمائى ، وهو يبتسم بخبث قائلا :

ـ إن شاء الله سيكون هذا الفيلم فاتحة خير بيننا .

أحست (غدير) بالتعاسة بعد انصرافه .. وهى تقول لنفسها :

ـ هذا هو كل ما يعنيهم من موهبتى الفنيـة ؟ دعاية رخيصة تعتمد على إشاعة لا أساس لها من الصحة .

وقالت تلوم نفسها :

ـ ولماذا أنت غاضبة ؟ أليس هذا هو الطريق الذى اخترته لنفسك منذ البداية ؟

ألم تبدنى اللعبة باختيارك واستغللت هذا الرجل لتحققى بوساطته نجاحك الفنى المفقود ؟

وابتسمت فى مرارة وهى تقول بسخرية :

ـ نجـاح فنى .. أى نجـاح فنى ؟ .. بل هـو نجـاح مادى .

لم تكن هذه هى أحلامك يـا (غديـر) عندمـا التحقت بمعهد السـينما ، وقـررت أن تعملـى كممثلـة وفنانـة تفرض موهبتها على الجميع .

أحلامى الفنية .. كانت شيئا غير هذا تماما .

لقد كنت أحلم دائمًا بتقديم أعمال فنية جادة ومحترمة ومتميزة .

كنت أعتقد أن الموهبة والدراسـة تكفيان لكى أكون فنانـة جيدة لهـا جمهور عريض يحترم فنهـا ، ويقدر موهبتها . .

ولكن السنوات التى عملتها فى هذا المجـال ، أثبتت لها أن الأحلام شىء ، والواقع شىء آخر .

لقد خدعت نفسها فى البداية وخدعها الآخرون بكلمة الانتشار .. عليها أن تقبل أى دور مهما كانت نوعيته ، ومهما كانت تفاهته .. لكى تحقق لنفسها الانتشار الفنى أولاً .. ولكى يعرفها الجمهور .

ثم بعد ذلك تنتقىَ أدوارهـا ، وتختـار العمـل الـذى ترغب فـى أدائـه بنفسـها ، بعد أن يصبح لهـا اسـمها ويتحقق التعارف بينها وبين الجمهور .

وقبلت الأدوار التافهة والقيام بشخصيات سطحية ، تعتمد على الإغراء المفتعل والرقص ، وأشياء بعيدة كل البعد عن الفن السينمائى الحقيقى .

ولم تأتِ أبدًا هذه المرحلة التى تنتقى فيها أدوارها .. بل إن العمل الجاد الذى يشبع طاقتها الفنية ويحقق لهـا ما كانت تحلم به لم يأتها قط .

وعندما قررت أن تخوض مجال الإنتاج لتختار هذا الدور ، وجدت نفسها غارقة فى بحر من الديون والمصاريف ، جعلها تتراجع قبل أن تبدأ ..

وها هى الآن مضطرة لأن تتبع أساليب حقيرة ، لكى تقف على قدميها من جديد ، وتنقذ نفسها من الفقر والإفلاس ..

أساليب لم تتصور يومًا ما أنها ستلجأ إليها ، وهى تخوض عالم التمثيل .. وأنها ستدخل ضمن شروط تعاقدها على تمثيل الأفلام ..

أساليب تضطرها إلى توريط رجل مسكين معها فى علاقة لا أساس لها من الصحة .

رجل كل ذنبه أنه يحمل لها تقديرًا وإعجابًا .. بل وربما حبًا لم تلقه من أحد ، ويضطر دائمًا أن يوافق مرغمًا على تحقيق طلباتها ، حتى لو كانت تتعارض مع طبيعته وحياته التى ألفها .

تمامًا كما تضطر هى إلى قبول أدوار لا توافق عليها ، من أجل احتياجها المادى ، وتواجدها على الساحة الفنية .

وأحست (غدير) بالضيق من نفسها ومن كل ما يحيط بها .. فألقت بإحدى الوسائد فى الجدار المواجه لها لتنفس عن ضيقها .

ولكن سرعان ما استردت هدوءها وأمسكت بسماعة الهاتف لتتصل بوكيل أعمالها قائلة :

ــ (محسن) .. تعال حالاً ومعك عامل الاستوديو هذا .. الذى يدعى (فتحى) .. آه .. نعم هذا العامل الذى له ابنة مشلولة .. أريد أن أقابله .

أقول لك .. لا تأت .. قابلنى أمام كازينو (الأندلس) وسنذهب إليه فى منزله ..

نعم .. فى منزله يا غبى .. كلا لن ننتظر حتى نلتقى به فى الاستوديو ، فأنا أريده فى مسألة شخصية .. ستعرف عندما أقابلك .

والآن هيا لا تضع الوقت ، انتظرنى بعد نصف ساعة أمام كازينو (الأندلس) .

وما إن أنهت مكالمتها حتى عادت لتتصل من جديد بمجلة النجوم ، لتطلب أحد الصحفيين فى المجلة قائلة وهى تحاول أن تضفى بعض المرح على صوتها :

ــ (سعيد) .. كيف حالك ؟

أجابها قائلاً :

ــ بخير يا (غدير) هانم .

قالت وهى تجاهد لكى تحافظ على لهجتها المرحة :

ــ ما هذه التلميحات الغريبة التى أضفتها لحديثك

الصحفى معى ، حول الصلة التى تربط بينى وبين الدكتور (وحيد حمدى) ؟

أجابها قائلاً :

– إننى لم أقل شيئًا .. إنها مجرد تخمينات تحتمل الصدق والكذب .

– تخمينات ؟ إنها إشارات واضحة لوجود صلة عاطفية تجمع بينى وبين الدكتور (وحيد) .. ألن تكف عن هذه الألاعيب الصحفية الخبيثة ؟

رد عليها قائلاً :

– صدقينى .. الأمر لا يعدو كونه مجرد تخمينات .

– ولكن هذه التخمينات التى تتحدث عنها ، لم تجر على لسانى .. وأنت تحاول أن توحى بذلك .

حاول أن يعتذر قائلاً :

– (غدير) هانم ..

ولكنها قاطعته قائلة :

– هل تعرف أنه يمكننى أن أرفع عليك دعوى قضائية ، من أجل هذه الادعاءات الكاذبة ؟ وكذلك الدكتور (حمدى) .

وإذا كنت بارعًا فى الحيل الصحفية والافتراء على الآخرين .. فهناك محامون بارعون فى الأساليب القانونية . وفى إدخال أمثالك السجن .

قال متلعثمًا :

– (غدير) هانم .. إنها ليست المرة الأولى ، وأنت وافقتنى فى البداية على هذه الإضافات .. كما أننا أصدقاء .

ضحكت قائلة :

– ومن أجل هذه الصداقة .. سأتراجع عما قلت .. بل أكثر من ذلك .. أريد منك أن تستخدم حيلك الصحفية هذه ، وبراعتك فى كتابة تلك الأشياء الموحية بين السطور ، لكى تجعل قراءك يعتقدون بوجود علاقة عاطفية بينى وبين الدكتور (وحيد) .

ولا بأس لو جعلتهم يتصورون أن هذه العلاقة ستنتهى بالزواج . هل فهمتنى ؟

وأجابها بخبث قائلاً :

– نعم .. فهمتك جيدًا .. ويمكنك أن تعتمدى علىّ فى هذا .

وكان هذا يعنى أنها تنزلق أكثر وأكثر .

* * *

١٠ ـ القلب الأسير ..

وقف الدكتور (وحيد) يراقبها لبرهة من الوقت ، وهى جالسة أمام المجهر تفحص إحدى العينات .. قبل أن يقول :

ـ كيف حالك .. يا (سناء) ؟

لم تصدق الدكتورة (سناء) أذنيها .. والتفتت سريعًا لتراه واقفا لدى الباب ، فهتفت قائلة :

ـ الدكتور (وحيد) ؟!

ابتسم قائلا :

ـ نعم .. الدكتور (وحيد) .. لماذا اندهشت هكذا ؟

قالت (سناء) بعد أن تمالكت نفسها لرؤيتها المفاجئة له :

ـ لا شىء .. ولكنك انقطعت عن الحضور إلى المعمل منذ فترة .. ولم تعد تأتى إلى هنا .

دخل إلى الحجرة قائلا :

ـ ليست فترة طويلة على أية حال كلها شهر وأسبوع واحد فقط .

ـ لم تكن تغيب عن المعمل يومًا واحدًا من قبل .

أخذ يتأمل المكان حوله وكأنه غاب عنه سنوات طويلة قائلا :

ـ معك حق .. لقد ظللت سنوات طويلة سجين هذا المكان .

رددت (سناء) كلمته قائلة فى دهشة :

ـ سجين .. هل أصبح هذا المكان يمثل بالنسبة لك الآن سجنا ؟

نظر إليها قائلا :

ـ هناك أشياء كثيرة خارج هذا المعمل ، لم أكن أدرى عنها شيئا .. هناك حياة لم أعشها يا (سناء) ، لأن حياتى كانت فى المعمل والمستشفى .

ـ إنها الحياة التى كنت تحبها دائما يا دكتور (وحيد).

ـ لأننى حصرت نفسى داخلها ولم أر سواها .. إن من حقى أن أعيش حياتى كما يعيشها الآخرون .

ـ لا يستطيع أحد أن ينكر عليك ذلك .. ولكن أى حياة تلك التى تريد أن تعيشها ؟. حياة تماثل حياة أى شخص يريد أن يحيا بطريقة طبيعية ؟

أن يكون له اجتهاده العلمى المتميز .. وأن يكون له فى ذات الوقت زوجة ومنزل وأولاد .. وحياة أسرية واجتماعية مناسبة ؟

أو حياة كتلك التى تحياها الممثلة (غدير) ؟

نظر إليها بدهشة تمتزج بالغضب وهو يقول :

ـ (غدير) !؟

ـ نعم .. (غدير) يا دكتور (وحيد) .. ليس هذا هو عالمك ولا حياتك .. خاصة بعد ما وصلت إليه منذ شهر ، وبعد أن أصبحت شخصية لها مكانتها فى المجتمع.

ـ كيف تسمحين لنفسك ..

قاطعته قائلة :

ـ آسفة يا دكتور .. أعرف أنه ليس من حقى أن أتدخل فى حياتك الشخصية ، ولكنك أستاذى الذى أحترمه وأقدره .. وأحرص على سمعته وعلى مكانته كعالم كبير .

إن الألسنة بدأت تلوك سمعتك .. وتتحدث عن العالم الكبير الذى وقع فى حب فنانة مغمورة .. وترك علمه وأبحاثه ليرتاد معها السهرات والحفلات التى لا تخلو أحيانًا من اللهو غير البرىء .

انهار الدكتور (وحيد) جالسًا فوق أحد المقاعد .. ثم قال بعد برهة من الصمت :

ـ (سناء) .. لن أخفى عليك .. إننى أحبها .

وبرغم أن اعترافه جاء بمثابة طعنة فى صدرها ، إلا أنها سيطرت على أحاسيسها قبل أن تقول :

ـ ولكن كلاً منكما ينتمى إلى عالم آخر يا دكتور .

ـ الحب لا يعترف بذلك .. ولا تفصله حدود .. هذا ماتعلمته منذ أن عرفتها ، برغم موافقتى على كل ما قلته .

ـ هل أنت متأكد من أنها ليست نزوة ؟

ـ لم أعد متأكدًا إلا من شىء واحد .. وهو أننى لا أقوى على الابتعاد عن هذه الفتاة .. وأجد نفسى دائمًا منقادًا إلى مشاعر أقوى منى ، تدفعنى إلى الانصياع لرغباتها والانخراط فى عالمها ـ برغم رفضى له ـ لكى أكون قريبًا منها .

أليس هذا هو الحب يا (سناء) ؟

صمتت برهة قبل أن تجيبه قائلة :

ـ لست أدرى يا دكتور (وحيد) .. ولكن هى .. هل تحبك بنفس القدر ؟

نظر إليها كمن فوجئ بسؤال لم يتوقعه قائلاً :

ـ هى ؟!

ثم قال بعد برهة من التفكير :

ـ لا أعرف .

ـ كيف لا تعرف ؟

ـ لأننى لم أفكر فى ذلك .

— إنه أمر لا يحتاج إلى تفكير .. هل ترى فى تصرفاتها معك وفى إحساسك بها ، ما يدل على حبها لك ؟ . أو بمعنى أدق .. ما يستحق أن يجعلك تحبها ؟

خفض رأسه قائلا :

— لا .. لا أعتقد ذلك .. ولكن ليس لهذا أى تأثير علىمشاعرى .. إن عاطفتى نحوها أقوى منى .

قالت (سناء) بعصبية :

— ولكن كيف ترضى لنفسك ..

وحبست الكلمة فى حلقها .. فلم تقو على أن تجرحه .. ولكنها عادت لتقول :

— دكتور (وحيد) .. ما الذى دفعك إلى الحضور إلى المعمل اليوم ؟.

— لا أدرى .. لقد وجدت قدماى تقودنى إليه اليوم دون سابق إعداد .

— أليس هذا هو المكان الذى تدعوه سجنا ؟

— لم أكن أقصد هذا المعنى .. ولكنى قصدت أنه لم يكن يتعين علىّ أن أقصر حياتى بأسرها على المعمل والأبحاث والدراسات .. وأن أصبح إنسانا منغلقا إلى هذا الحد .

— هل نسيت المعنى الإنسانى الكبير الذى ينطوى عليه عملك فى هذا المكان ؟

ومرة أخرى خفض رأسه قائلا :

— كلا .. لم أنس .. وأعتقد أننى قد أديت واجبى كاملا وفقا لهذا المعنى .

— كلا .. عالم كبير مثلك لا ينتهى به الأمر عند حد أداء عمل معين ، وإنما يبقى طوال حياته فى خدمة العلم والإنسانية .

— إننى لن أهجر المعمل تماما على كل حال .

— بل أنت فى طريقك إلى ذلك .. لقد هجرته لأكثر من شهر ، وأنت الذى لم تكن تقوى على الابتعاد عنه يوما واحدا .. أليست هذه هى البداية ؟

حاول أن يتكلم .. ولكنها قاطعته قائلة :

— تماما .. كما بدأت تهمل عملك فى المستشفى ، على نحو كدت أن تقضى به على حياة مريض برغم المشهود لك به من براعة كجراح كبير .

أطلت لمعة الغضب من عينيه وهو يقول :

— من أخبرك بهذا ؟

— تلك الأمور لا يمكن إخفاؤها يا دكتور (وحيد) .. لقد سمعت أيضا أنك قد أصبحت تتهرب بعدها من دخول غرفة العمليات .. وفقدت أهم ما يتمتع به الجراح وهو الثقة بالنفس .

علا صوته قائلاً :

ـ إنك تتجاوزين الحدود يا دكتورة .

ـ أريد أن أنبهك لنفسك يا دكتور .. أريد أن تستعيد ذاتك قبل أن تفقدها .

قال لها باستهزاء :

ـ أنت ؟!

ـ نعم .. أنا .. لن تمنعنى رهبتى منك وإحساسى نحوك بإحساس التلميذة نحو أستاذها .. وما أكنه لك من احترام ، أن أواجهك بالحقيقة ، وأن أطلب منك أن تعود إلى نفسك .. وألا تدع تلك الممثلة تقودك إلى كل ما يتعارض مع مكانتك العلمية والاجتماعية .

ـ بأى حق ؟

قالت وهى تكاد أن تبكى :

ـ بحق العلم الذى تلقيته على يديك .. والمبادئ التى تعلمتها منك .. والقيم التى عشقتها من خلالك .

بحق احترامى الكبير لك .. والتقدير الذى أحمله فى نفسى نحوك .

وأردفت قائلة بعد برهة من التردد :

ـ والحب الذى أحمله لك فى قلبى .

نظر إليها فى دهشة قائلا :

ـ الحب ؟!

قالت قبل أن تجهش بالبكاء :

ـ نعم .. الحب يا دكتور .. الحب الذى لم تشعر به أبدًا برغم أنه كان واضحًا فى كل خلجة من خلجاتى .

وانخرطت فى البكاء .. فى حين لم يدر هو ماذا يقول .

فاقترب منها وكاد أن يضع يديه على كتفيها طالبًا منها التوقف عن البكاء ، ولكنه تراجع عن ذلك قائلاً :

ـ (سناء) .. أنا آسف ، لم أكن أعرف شيئًا عن هذا .

ـ ليس هناك ما يدعو للأسف يا دكتور .. فنحن لا نملك مشاعرنا .. فأنت تحب إنسانة لا تشعر بك ، برغم رفضك لتصرفاتها وللعالم الذى تعيشه ، وأنا أيضًا أحببتك برغم محاولاتى الفاشلة لمقاومة هذا الحب .

ـ لماذا يا (سناء) ؟ لماذا لم تصارحينى بذلك منذ البداية ؟

ـ المشاعر لا تحتاج إلى تصريح يا دكتور (وحيد) .. إنها أشياء تبدو فى تصرفاتنا .. فى نظرات أعيننا .. وفى لمسات أيدينا ، وحتى فى لحظات الصمت التى تجمع بيننا وبين من نحبهم .

أشياء تحتاج منا إلى أن نحسها وندركها ، دون أن

تقولها .. وأنت لم تحس بشىء من هذا مطلقا :

وحتى لو كنت قد أحسسته .. فما الفائدة إذا لم يكن لديك ما يقابله من إحساس ؟

لقد كتمت مشاعرى فى قلبى ، بعد أن أحسست بالعجز عن أن تصل إليك ، ورضيت بأن أبقى بجوارك كمساعدة لك وكسكرتيرة خاصة ..

قنعت مثلك بأن أكون قريبة منك ، بعد أن عجزت عن الاقتراب من قلبك . ولكن فرق كبير بين أن أكون بجوارك هنا فى معمل الأبحاث تلميذة لك أتلقى العلم على يديك .. فى نفس العالم الذى ننتمى إليه ، وبين وجودك بجوار الممثلة (غدير) وفى عالم لا يمت إليك بصلة .

أطلق زفرة قصيرة قبل أن يقول :

ـ لقد قلتها منذ لحظات .. إننا لا نملك مشاعرنا ..

ـ ولكنك تملك الإرادة يا دكتور (وحيد) .. الإرادة التى تجعلك تتغلب على مشاعرك وتعود إلى عملك فى المستشفى .. وتجاربك فى المعمل .. فما زال فى قلبك جزء من الحب تجاه هذه الأشياء .

خاصة إذا كانت هذه الممثلة لا تستحقك ، وتحاول أن تستغلك .

ـ تستغلنى !! (سناء) .. ماذا تقولين ؟

فتحت (سناء) أحد أدراج مكتبها لتقدم له نسخة من إحدى المجلات قائلة :

ـ اقرأ هذا لتعرف أننى صادقة فيما أقوله .. إنها تحاول الحصول على بعض الشهرة والدعاية باستغلال صلتها بك .

أخذ (وحيد) يقرأ المكتوب فى المجلة تحت عدد من الصور التى التقطت لهما معا فى بعض الحفلات والسهرات الفنية .. والتى تشير إلى وجود صلة عاطفية بينهما ، وعن الطبيب المشهور المتدله فى حب الممثلة (غدير) .. وملاحقته لها أينما ذهبت .

قال لها وهو يكظم غيظه :

ـ إنها فبركة صحفية .. من صحفى حقير .

ـ وماذا ستفعل إزاء ذلك ؟

ـ سأتصل بالمجلة وأطلب تكذيب هذا الخبر ، أو أرفع دعوى قضائية .

ـ لماذا ؟.. إنك لن تنجح فى كسب هذه الدعوى .. ففى هذا المقال جزء كبير من الحقيقة التى لن تستطيع أن تنكرها .. ثم إن صديقتك نفسها تحاول أن تؤكد هذا الأمر بطريقة غير مباشرة .

ـ ماذا تعنين ؟

قدمت له (سناء) نسخة جديدة من نفس المجلة قائلة :

ـ هذا ما تحاول إثباته من بين السطور خلال هذا الحديث الصحفى ، الذى أجرى معها ، والذى يدور معظمه حول العلاقة التى تربط بينكما .

واطلع (وحيد) على الحديث الصحفى .. ثم هب واقفا .. وأسرع بمغادرة المعمل ، وهو يشعر بشىء ما فى قلبه ..

شىء أشبه بطعنة مؤلمة .

* * *



١١ ـ خداع الحب ..

قدم إليها (وحيد) نسخة المجلة قائلا :

ـ هل يمكنك أن تشرحى لى معنى الكلام المكتوب هنا ؟

نظرت (غدير) إلى نسخة المجلة قائلة :

ـ لقد قرأته .. إننا نتعرض كثيرا فى حياتنا الفنية إلى مثل هذه الأمور .

ـ ولكن لماذا يتم إقحامى أنا فى مثل هذه الأمور ؟ إننى بعيد عن حياتك الفنية هذه ، ولى اسمى ومكانتى كطبيب .

نظرت إليه وفى عينيها عتاب قائلة :

ـ إلى هذا الحد أصبحت تخشى من علاقتك بى ؟. هل أنا إنسانة سيئة إلى هذه الدرجة التى تجعلك تخاف على سمعتك منى ؟

وتهاوت فوق أحد المقاعد وهى تبكى بدموع تمثيلية مستطردة :

ـ لو كنت أعرف ذلك منذ البداية لما سمحت لنفسى بأن تتوثق علاقتنا على هذا النحو .

وأحس بعاطفته تتدفق نحوها وهو يراها تبكى على

هذا النحو ، فجثا على إحدى ركبتيه بجوار مقعدها ، وهو يمسك بيدها قائلا :

ـ آسف يا (غدير) .. لم أكن أقصد أن أتسبب في أي أذى لمشاعرك .. ولكن لابد من التصدي لأمثال هذا الصحفي حتى لا يتمادوا في كتابتهم عنا إلى نحو قد يسيء إليك قبل أن يسيء إليّ .

إنهم يجيدون فن صناعة الأكاذيب .. وأنا لا أطيق الكذب والافتراء .

ثم صمت برهة قبل أن يستطرد :

ـ هل تعرفين ؟ حينما قرأت هذا تمنيت أن يكون بعضه صحيحًا .. وأن يكون هذا الكلام المكتوب نابعًا من قلبك حقًا .

نظرت إليه قائلة :

ـ وماذا لو كان صحيحًا ؟

تطلع إليها بدهشة قائلا :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ (وحيد) .. لقد حاولت أن أكون حريصة فيما أقوله .. وأن أدقق في معاني الكلمات التي أجيب بها عن أسئلة هذا الصحفي ، حرصًا عليك وعلى مكانتك ، وحتى لا أورطك معي فيما يتجاوز الصلة التي حددناها لأنفسنا .

ولكن يبدو أن مشاعري قد خانتني .. وأن ما حرصت على إخفائه قد بدا واضحًا في أجوبتي دون قصد مني .

ـ هل يعني هذا أنك ..

نهضت (غدير) وهي تواجه نافذة الغرفة دون أن تنطق بشيء ، في حين نهض (وحيد) ليسارع خلفها وهو يمسك بكتفيها قائلاً :

ـ أتكونين حقًا قد أحببتني يا (غدير) ؟

ـ لم يكن الأمر بيدي .

ـ أخيرًا .. أخيرًا .. أحسست بحبي ، وصحا قلبك لمشاعري .

التفتت إليه (غدير) قائلة :

ـ لقد كنت أحاول التعبير عن عاطفتي وحبي لك ، والذي بدأت أدركه منذ زيارتك لي في الاستوديو بـ (تونس) .. ولكني سرعان ما كنت أتراجع .. خوفًا من أن أورطك معي في عاطفة قد ترفضها .

ـ من قال هذا ؟ لقد كانت تلك أمنية بالنسبة لي .. (غدير) هل تتزوجينني ؟

نظرت إليه بدهشة كما لو كانت تراه لأول مرة قائلة :

ـ أتريد أن تتزوجني ؟

ـ بل أتمنى أن توافقي على هذا الزواج .

ــ ولكن .. ولكنك فاجأتنى .

ــ لم يعد هناك ما يحول دون ذلك .. كلانا يحب الآخر .. لقد أصبحنا نعرف ذلك .. ونعرف أيضًا أننا لا نقوى على الفراق .. إذن فلا توجد مشكلة .. ولا سبيل أمامنا سوى الزواج .

ــ ولكنك طبيب مشهور وعالم كبير .. وأنا فنانة .

ــ وما الغريب فى هذا ؟ العديد من الأطباء والعلماء والمفكرين مرتبطون بفنانات .

ــ أعنى أننى لن أقوى على التخلى عن الفن والتمثيل .. وقد لا يلقى هذا قبولاً من ناحيتك .

ــ إننى مستعد لقبول أى شىء فى مقابل الزواج منك .. فأنا أحبك من كل قلبى .. أحبك منذ اللحظة التى وقعت فيها عيناى عليك .

ــ ألا ترى أنك بحاجة لأن تمنح نفسك مهلة من التفكير ؟.

ــ لست بحاجة للتفكير .

ــ لقد اعترفت بحبى لك وهذا أمر لم أعد أستطيع أن أنكره .. ولكن ألا ترى أن حياة كل منا تختلف عن حياة الآخر ؟.

ــ الحب يستطيع أن يذيب المسافات .

ضحكت قائلة :

ــ من يراك تتحدث هكذا لا يصدق أنك عالم مشهور وجراح أعصاب .. بل يظنك مراهقًا يعشق لأول مرة .

ــ إننى بالفعل أعشق لأول مرة .. والواقف أمامك الآن ، ليس هو العالم المشهور وجراح الأعصاب ، الذى يتميز بالبرود وبالتحكم فى مشارط الجراحة بأصابع ماهرة وفولاذية .. بل شخص يحبك من كل قلبه .. وظل ينتظر طويلا أن تمنحيه بعضًا من هذا الحب .

نظرت إليه .. وفى عينيها نظرة تأثر حقيقية هذه المرة ، ولم تستخدم فيها موهبتها التمثيلية .

وقالت بعد برهة من الصمت :

ــ أرجوك .. دع لى أنا فرصة لأفكر .

ــ أما زلت مترددة فى عاطفتك نحوى ؟

ــ كلا .. بالطبع .. ولكنى لا أحب القرارات السريعة .

ــ حسن .. فكرى كما تشائين .. وسأكون دائمًا فى انتظار ردك .. دائمًا .

* * *

أمسكت (غدير) بسماعة التليفون قائلة :

ــ أرأيت ما الذى قادتنا إليه أفكارك ؟ إن الدكتور (وحيد) يريد أن يتزوجنى .

قال لها وكيل أعمالها :
– وماذا فى ذلك ؟ إنها فرصة جاءتك من السماء .. فالكثيرات غيرك يتمنين أن يرتبطن برجل مشهور له سمعته ومكانته مثل الدكتور (وحيد) .
يجب عليك أن تشكرينى على ذلك بدلا من هذا اللوم .
– ولكنى لم أضع ذلك فى حسابى .. بل إننى لم أفكر فى الزواج منذ البداية .. ولم أسع للارتباط بـ (وحيد) أو بغيره .
فكل ما يهمنى فى هذه المرحلة .. هو حياتى الفنية .. نجاحى كممثلة .. وتحقيق النجومية التى أسعى إليها .
– وهل فى زواجك ما يمنع هذا ؟ أرأيت منه معارضة لاستمرارك فى العمل كممثلة ؟
– كلا .. إنه موافق على ذلك .. وإن كنت أرى منه بعض التزمت أحيانا .
– تلك أمور يمكنك معالجتها فى المستقبل .
– المشكلة أن الفكرة نفسها لم تخطر فى عقلى .
– الفكرة ليست سيئة إلى هذا الحد .. بل يمكنك الإفادة منها إلى أقصى درجة لو تزوجت من هذا الطبيب .
– كفاك تحدثا بهذا الأسلوب الانتهازى .
– حسن .. ولو أن كلانا يتحدث بنفس الأسلوب ..

الفرق بينى وبينك أننى أكثر وضوحا فى التعبير عن نفسى .. أما أنت فتريدين دائما التظاهر بأنك تفعلين الشىء الذى تريدينه برغم أنفك واتباعا لنصيحة ترفضينها .
صاحت قائلة :
– كيف تجرؤ على أن تحدثنى بهذه الطريقة ؟
– آسف يا ست الكل .. ولكن دعك من الطرق والأساليب الآن . وقولى لى .. ألم تؤت أفكارى بالثمار التى كنا نرجوها منها .. ألم توقعى عددا من عقود الأفلام وتسددى جزءا كبيرا من ديونك .. وتجتازى عنق الزجاجة التى كادت تخنقك ؟.. ألم يحدث هذا بفضل أفكارى ؟
أطلقت زفرة قصيرة قائلة :
– لا أستطيع أن أنكر ذلك .. أنت أيضا نلت عمولتك ثلاثة أضعاف .
قال وكيل أعمالها بخبث :
– أنت تعرفين أنه بغض النظر عن المسائل المادية .. فإننى فى خدمتك دائما يا ست الكل .
والآن قولى لى .. ألا تريدين تأسيس شركة إنتاج خاصة بك مرة أخرى .. لكى تنتجى من خلالها أفلامك ؟

قالت بامتعاض :

ـ مرة أخرى .. كفانى ما لقيته من قبل .

ـ من قبل كنت عديمة الخبرة .. ولا تعرفين كثيرًا فى تلك الأمور المتعلقة بإقامة هذا النوع من الشركات .. أما اليوم فلديك خبرة كافية .. ثم إنك تستطيعين الاستعانة بأشخاص متخصصين فى كافة النواحى المالية والإدارية والفنية ، المتعلقة بإقامة هذا النوع من شركات الإنتاج الفنى .

ـ هل تمزح ؟ ومن أين لى بالمال الذى يفى بإقامة شركة إنتاج سينمائى مرة أخرى ؟.. إننى لم أكد أسدد ديونى السابقة .. بل إن بعضها لم يسدد بعد .

ـ وماذا لو قلت لك إنك لن تغرمى جنيهًا واحدًا فى مقابل تأسيس هذه الشركة ، وإن هناك من هو مستعد لتحمل تكاليف هذه الشركة بالكامل لتكون باسمك وتحت تصرفك ؟.

ـ ومن هو هذا الجواد الكريم الذى يستعد للمخاطرة بمئات الآلاف لكى يقدم لى شركة إنتاج سينمائى على طبق من الفضة ؟

ـ إنه بالطبع ليس شخصًا مغفلاً ولا سفيهًا .. بل يريد أن يحصل منك على خدمة مقابل ذلك .

ـ أى نوع من الخدمات ؟

ـ خدمة ستجعله هو الآخر يجنى الملايين من ورائها .

ـ ما هذه الخزعبلات ؟. لماذا لا تتحدث بوضوح دون اللجوء إلى هذا اللف والدوران ؟

ـ حسن .. سأتحدث معك بصراحة .. لقد اتصل بى منذ ثلاثة أيام ، وكيل إحدى شركات الأدوية الأجنبية ، وطلب منى أن أتحدث إليك .. لكى تحاولى التأثر على الدكتور (وحيد) لكى يقبل أن يمنح حق احتكار دوائه الجديد لهذه الشركة ، وأن يعمل لحسابها .. فى مقابل راتب مغر للغاية .. بالإضافة للمبلغ الذى سيحصل عليه مقابل حق شراء العقار الجديد .

ولما كان الدكتور (وحيد) يرفض تقديم هذا العقار للشركات الأجنبية وسبق له أن رفض أكثر من عرض قدم إليه ، ومن بينها عرض هذه الشركة .. وصرح أكثر من مرة بأنه لن يقدم هذا العقار إلا لشركة الأدوية المصرية .

ولما كان احتكار هذا العقار لحساب هذه الشركة سيحقق لها أرباحًا طائلة ، لذا فقد سعى وكيل الشركة للاتصال بى ، بعد كل ما قيل وكتب عن صلتك الوطيدة بالدكتور (وحيد) .. لكى أتحادث معك فى هذا الشأن ..

وأن تستخدمى تأثيرك على الدكتور (وحيد) من أجل التعاقد مع هذه الشركة .

وعمولتك فى هذا الشأن ستكون هى شركة الإنتاج السينمانى التى تريدينها ، والمبلغ الذى سيدفعونه بلا شك لا يساوى شيئا إزاء الأرباح التى يعرفون أنهم سيحققونها من وراء احتكار إنتاج هذا الدواء .

– ولكنى لا أستطيع أن أحادثه فى هذا الشأن .

– بل تستطيعين .. وطلبه الزواج منك سيعزز ذلك ، لقد كنت أنوى أن أحادثك فى هذا الشأن منذ قليل .. وجاء حديثك عن طلبه الاقتران بك ليقوى من فرصتك فى التأثير عليه ودفعه للتوقيع على هذا العقد .

– ولكن هذا يتعارض مع مبادئه .

– دعك من هذه الأقاويل السخيفة .. إنها أشياء يقولونها فى البداية ، ثم لا تلبث أن تتبخر بعد التعامل مع حقائق الحياة .

ثم إنه يحبك .. وسيصبح زوجا لك .. وعليه أن يعمل على تأمين مستقبلك ومستقبله .

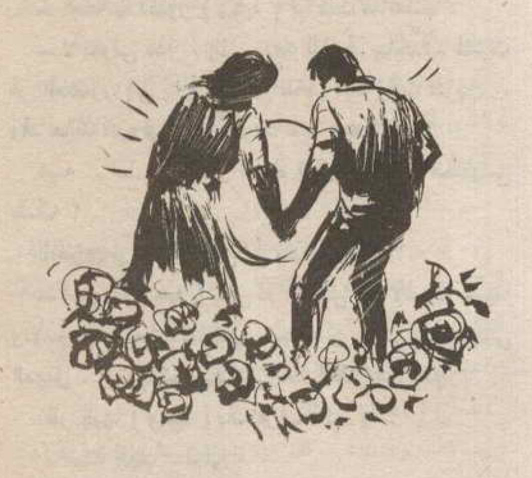
فكرى فيما سيتحقق لك لو أقنعته بالتعاقد مع هذه الشركة الأجنبية ، ستحققين كل ما كنت تحلمين به .. من نجاح فنى .. ومادى .. فكرى يا (غدير) .

فكرى ، قبل أن تضيع الفرصة .. فكرى .

ولم يكن يحتاج إلى تكرار نصيحته ، فقد بدأت التفكير بالفعل ..

وبعمق .

* * *



١٢ ـ عهد الحب ..

استقبل الدكتور (وحيد) فى غرفتـه بالمستشـفى الدكتورة (سناء) بترحاب كبير قائلاً :

ـ أهلاً يا (سناء) .. تفضلى ..

ـ آسفة يا دكتور (وحيد) إذا كنت سأعطلك .

ـ لا تقولى هذا .. إننى سعيد للغاية بأنك قد فكرت فى الحضور إلىّ .. فنحن لم نلتق منذ وقت طويل .. وقد حالت ظروفى دون التردد على المعمل .

هيه .. ما هو الأمر الهام الذى أردت أن تحدثينى بشأنه ؟

انتظرى أولاً .. وقولى لى ماذا تشربين ؟

ـ دكتور (وحيد) إننى لم آتِ إلى هنا لأشرب شيئًا والأمر لا يحتمل الانتظار ، يجب أن تـأتى معى إلـى المعمل .. وتعيد تجاربك على هذا العقار من جديد .

نظر إليها (وحيد) باستغراب قائلاً :

ـ لست أفهم .. لماذا

ـ لقد قمت بإجراء عدد من التجارب المعملية خلال

الفترة الماضية .. وراجعت عينات من العقار الذى أعددته .. كما اختبرت عددًا من حيوانات التجارب ، وكلها تؤكد أن ذلك العقار لم يحقق الفاعلية الكاملة التى كنا نرجوها من ورائه .. وأن فاعليته بدأت فى التراجع .. وما زال بحاجة إلى المزيد من الاختبارات المعملية والتجارب .

احتقن وجهه بالغضب وهو يضرب بقبضته على المكتب قائلاً :

ـ ماذا تقولين ؟ أتدعين أن العقار الذى أعددته .. والذى أخذ منى العديد من السنوات فى الاختبارات والتجارب ، يعد فاشلاً وغير فعال ؟

ـ هذا ما اكتشفته يا دكتور :

ـ أتأتى فتاة غريرة مثلك .. كانت منذ أسابيع تتلقى العلم على يدىّ ، وتحاول الاستفادة من خبراتى لتصف اكتشافى بالفشل ؟.

ـ هذا ما أثبتته التجارب والفحوص .

صاح (وحيد) قائلاً :

ـ كذب وادعاء .. لقد أجريت اختبارات عديدة لهذا المصل .. وفاعليته ظهرت واضحة .. حتى تقرير اللجنة الفنية يشير إلى ذلك .

ـ تقرير اللجنة الطبية لم يحسم الأمر بعد .. لقد تم رفع هذا التقرير ومعه عينات من العقار إلى لجنة طبية أعلى وأكثر خبرة وتخصصًا ، لتحليل العقار والتأكد من فاعليته .

قال لها (وحيد) ساخرًا :

ـ حسن .. ولم تنتظرى أنت تقرير اللجنة الطبية الأكثر خبرة وتخصصًا وأعددت تقريرًا خاصًا بك يثبت مدى عدم فاعلية الدواء .. أليس كذلك ؟

ـ دكتور (وحيد) .. الحيوانات التى أجريت عليها تجاربك أصيبت بالشلل من جديد .. وعما قليل سيحدث نفس الشىء بالنسبة للعينات الإنسانية التى حقنتها بهذا المصل .

بدا الاضطراب على وجه الدكتور (وحيد) قليلاً .. ولكنه لم يلبث أن نزع الفكرة من رأسه قائلاً :

ـ إذن لابد أنك قد أعدت حقن هذه الحيوانات بالمصل الذى يؤدى إلى الشلل مرة أخرى .

نظرت إليه (سناء) بدهشة قائلة :

ـ أنا ؟! ولماذا أفعل ذلك ؟

ـ لتسيئى إلىّ .. وتهزين ثقتى بنفسى وبعقارى .. إنك لم تتحملى فكرة وجود منافسة لك على قلبى .

لم تتحملى فكرة حبى لها وتفضيلى إياها عليك .. فعمدت إلى إثبات شىء غير صحيح .

ولكنى أحذرك من ذلك .. وأحذرك من التشهير بى .. قبل أن تنتهى اللجنة الطبية من تقرير فاعلية الدواء .

قالت له (سناء) بأسى :

ـ أهذا هو رأيك فىّ ؟ لم أكن أظن أنه يمكن أن أكون على هذا النحو من البشاعة فى نظرك ؟

أنا أسىء إليك !! كيف أمكنك أن تتصور ذلك ؟

ـ عندما تحب المرأة وتشعر بأنها على وشك أن تفقد الإنسان الذى أحبته ، تفعل أكثر من ذلك .. حتى لو كان هذا على حساب الإنسان الذى أحبته .

ـ تلك قصة منتهية يا دكتور (وحيد) .. وخطئى الذى لن أغفره لنفسى هو أننى صارحتك ذات يوم بحبى لك .

كما يجب أن تعرف أننى الآن مخطوبة لزميل لى فى المستشفى الذى أعمل به ، ولم يعد فى حياتى الآن شخص آخر غير خطيبى .

نظر (وحيد) إلى أصبعها سريعًا ليجد خاتم الخطوبة ، وهو مالم يتنبه إليه منذ البداية .

وبرغم أن ذلك قد وتره قليلاً ، إلا أنه تمالك نفسه قائلاً :

ـ لقد كان ذلك رد فعل لما أخبرتك به ، من أننى أنوى الزواج من (غدير) ، ولكنه لا ينفى أنك مازلت ناقمة علىّ من أجل هذا الزواج .. لأنك ما زلت تحبيننى .

نظرت إليه (سناء) بازدراء قائلة :

ـ يالك من مغرور !

انفعل قائلاً :

ـ (سناء) .. لا تتجاوزى الحدود معى .. ولا تنسى أننى أستاذك .

ـ وهذا بالضبط ما جعلنى آتى إليك لأحذرك .. لأننى لا أريد لأستاذى السابق أن يتمادى فى الإصرار على الخطأ تكبرًا وعنادًا .

ونهضت قائلة :

ـ على كل حال .. لقد نبهتك إلى أن الدواء ليس فاشلاً كلية .. ولكنه مازال بحاجة إلى المزيد من التجارب والاختبارات المعملية .

وعليك أن تراجع الأمر بنفسك .. وأن تقرر ذلك على

الملأ .. قبل أن تواجه به .. وتعلن تلك اللجنة على رءوس الأشهاد أن العقار الذى أنتجته غير فعال .. وأن كل ما ينجم عن استخدامه .. هو تحقيق شفاء وقتى لا يتجاوز بضعة أسابيع فقط .. عن إذنك .

وسارعت بالانصراف فى حين بقى (وحيد) لعدة لحظات واجما وهو متردد فى تصديقها .

وأخيرا نهض قائلا :

ـ كذب وادعاء .. لابد أن كل هذا كذب وادعاء .. فقد اختبرت العقار بنفسى وفاعليته مؤكدة .. مؤكدة بلا أدى شك .

* * *

ضحكت (غدير) قائلة :

ـ تبدو وكأنك تحمل هموم الدنيا فوق رأسك .

أطلق زفرة قصيرة قائلا :

ـ وهل هذا يدعو إلى الضحك ؟

ـ ما يدعو إلى الضحك هو أنه ليس هناك شىء يستحق أن نحمل له كل هذا الهم .

نظر إليها بتمعن قائلا :

ـ (غدير) .. هل تحبيننى ؟

ابتسمت قائلة :

— ما هذا الكلام ؟ هل أنت بحاجة لأن أقول لك هذا مرة أخرى ؟

— نعم .. بحاجة لكى أسمعه منك كثيرا .

ضحكت قائلة :

— حسن .. ها أنا أردده على مسامعك .. أحبك .. أحبك .. أحبك .

— إذن لماذا لا نتزوج ؟

— لأنك لم توافق على ما طلبته منك حتى الآن .

اعتدل فى جلسته قائلا بضيق :

— التعاقد مع تلك الشركة الأجنبية مرة أخرى .. أليس كذلك ؟

— نعم .. إننى لا أدرى ما الذى يدعوك إلى رفض عرض مغر كهذا ؟! انهم سيدفعون لك كل ما تطلبه .. مقابل السماح لهم باحتكار هذا الدواء .

— لأن هذا يتعارض مع مبادئى .. ولأننى صرحت أكثر من مرة بأننى سأقدم هذا الدواء للشركة الوطنية الدوانية .. هذا حق وطنى علىّ بعد كل ما قدمته لى الدولة من مساعدات وإمكانيات لإنتاج هذا الدواء .. فضلا من السمعة الدولية التى يمكن أن تتحقق لو احتكرت شركة دواء مصرية إنتاج هذا العقار . بالاضافة

إلى ما سيعود على الدولة من أرباح من وراء توزيعه عالميا .

— وماذا سيقدمون لك فى مقابل هذا ؟ إن المقابل الذى ستحصل عليه لا يساوى واحدا على ألف مما ستقدمه لك تلك الشركة الأجنبية .

— أحيانا تقلقنى طريقتك هذه فى التفكير .

— إننى أفكر بطريقة واقعية .. أما أنت فتفكر بطريقة مثالية أكثر من اللازم .

— وما علاقة توقيعى على العقد مع هذه الشركة الأجنبية بموضوع زواجنا ؟

— إنه تأمين لمستقبلك ومستقبلى معك .. انظر إلى نفسك .. طبيب مشهور مثلك ، وليس له عيادة خاصة حتى الآن .. إن كلا منا سيحتاج إلى مصاريف كبيرة تتناسب مع مكانتى ووضعك الجديد كعالم معروف .. ولن يمكننا تغطية هذه المصاريف إلا بتعاقدك مع هذه الشركة الأجنبية .

— وإذا لم أتعاقد مع الشركة الأجنبية .. ماذا سيكون قرارك ؟

حاولت التأثير عليه .. فاقتربت منه لتضع يدها على صدره قائلة :

– (وحيد) يا حبيبى ..
ولكنه قاطعها قائلاً :
– هناك احتمال كبير أن يفشل العقار الذى أنتجته .. وأن يكون النجاح السريع الذى حققه نجاحا وقتيًا ، وهذا ما سوف تقرره لجنة الفحوص الدوائية .. وبالطبع فلن يتم أى تعاقد قبل أن يتم التأكد من فاعلية الدواء .. ونجاحه نجاحا تامًا .
– ولكنك بالفعل واثق من نجاحه .
نظر إليها قائلاً :
– صدقينى لم أعد أملك هذه الثقة .. لقد ذهبت إلى المعمل اليوم .. إن حيوانات التجارب التى حقنتها بالمصل المضاد للشلل النصفى ، عاودها الشلل من جديد ، وامتد إلى بعض أطراف أخرى من جسدها .
اضطربت (غدير) لدى سماعها لذلك قائلة :
– أيعنى هذا أن العقار غير فعال ؟!
– نعم .. على الأقل مرحليًا .. والآن أريد أن أعرف هل سيكون لهذا تأثير على العرض الذى قدمته لك بشأن زواجنا ؟
ابتعدت عنه قائلة :
– لا أعرف يا (وحيد) .. ولكن أعتقد أننى سأكون

بحاجة إلى المزيد من التفكير .
نظر إليها بازدراء قائلاً :
– لا تجهدى نفسك بالتفكير أكثر من ذلك .. فالإجابة واضحة على وجهك .
– (وحيد) :
– الخطأ ليس خطأك ، بل خطئى أنا .. كان علىَّ أن أتبين منذ البداية أنك تحاولين استغلالى والاستفادة من شهرتى ، لتحقيق النجاح المفقود لنفسك ، وعندما تبين لك أن هذه الشهرة قد تتراجع ، وأننى لم أعد مفيدًا بالنسبة لك ، أخذت تعيدين التفكير .. وتحسبينها من جديد .
– ماذا تقول ؟
– لقد عرفت كل شىء من صديقك الممثل (حسن نور الدين) .. أخبرنى بأمر وكيل أعمالك وطرقه البارعة فى الدعاية .
كما أننى اتصلت أيضًا بالشركة الأجنبية ووكيلها هنا ، بعد أن ساورتنى الشكوك على إثر حديثك السابق معى .. وعرفت باتصاله بوكيل الأعمال هذا ، وبالمكافأة التى قررت لك لو استطعت التأثير علىَّ لتوقيع العقد معهم .
وبالرغم من ذلك حاولت ألا أصدق .. وأردت أن

أمنحك فرصة أخيرة لتثبتى لى من خلالها أنك تحبيننى حقًا .. وأنك مستعدة للتمسك بى بالرغم من كل شىء .

ولكنك نجحت فى إثبات شىء واحد ، هو أن الأمر كله لم يكن منذ البداية سوى زيف وتمثيل وادعاء لتحقيق مصالح رخيصة .

ولكن كما قلت لك ، كان الخطأ خطئى منذ البداية .. فقد تركت نفسى أنقاد إليك .. وكأننى مصاب بالعمى .. ورضيت أن أنتمى معك إلى عالم ليس عالمى ، ولا أمتَ له بصلة ، لكى أكون فقط بالقرب منك .

وكان عذرى الوحيد هو أننى أحببتك ، وتصورت يوما ما أنك تحبيننى .. ولكنى لم أتنبه إلى أنك ممثلة .. وممثلة بارعة .

نادته قائلة :

– (وحيد) .

ولكنه كان قد أسرع بمغادرة الحجرة ..

وإلى الأبد ..

* * *

وقف (وحيد) يراقب من بعيد ذلك الشاب الذى عالجه من قبل بوساطة العقار الذى ثبت فشله .. ليراه وهو يجلس فوق مقعد متحرك وقد عاوده الشلل مرة أخرى .

وأحس بالأسى وارتسمت علامات الحزن على وجهه ..

لم يكن يعنيه فى هذه اللحظة فشله ، وكل ما عاناه خلال الأسابيع الماضية من تراجع الأضواء التى كانت مسلطة عليه من قبل .. وتلك السخرية المريرة التى سمعها من زملائه .

ولعنات المرضى .. والتحقيق الذى يجرى معه لإقدامه على تجربة هذا الدواء على البشر .

لم يكن يعنيه ما صار إليه حاله بعد أن ثبت عدم فاعلية الدواء فى تحقيق علاج فعال ودائم لمرضى الشلل النصفى .

بل إن كل ما أثار حزنه وألمه فى هذه اللحظة ، هو أنه لم يستطع الاحتفاظ ببسمة الأمل وفرحة الشفاء التى رآها من قبل على وجه هذا الشاب ، وأنه قد أسلمه من جديد إلى اليأس وإلى الجلوس فوق مقعد متحرك ، مصابا بالعجز الذى امتد إلى بعض أطراف أخرى من جسده .

كان عليه الا يتسرع فى الإعلان عن نجاح ذلك العقار .. وكان عليه أن يجرى المزيد من التجارب والاختبارات ، قبل أن يقرر صلاحيته للاستخدام الآدمى .

فما أسوأ أن يحيى المرء الأمل فى النفوس ، ثم يعود

ليسلمها إلى أغوار اليأس .

كان عليه ألا يكابر ويعاند ويترك نفسه للغرور والثقة الزائدة بالنفس .. مادام قد قرر أن يتصدى لهذا الواجب الإنسانى .

كان الدكتور (وحيد) فى حالة يرثى لها .. فقد تنامت لحيته ، وأصبح مشعث الشعر ، وتهدلت ثيابه .

ولم يكن من يراه ليعرفه وهو على هذه الصورة المزرية .. وحتى الذين كانوا يعرفونه ابتعدوا عنه .. بعد أن انحسرت عنه الأضواء .. وأصابته لعنة الفشل .

عدا إنسانة واحدة .. جاءت لتجلس بجواره فى ذلك المكان الذى جلس منعزلا فيه .. لتضع يدها على كتفه بحنان قائلة :

ـ دكتور (وحيد) .. آن لك أن تتوقف عن الاستسلام لهذه الحالة من الإحباط واليأس .

نظر إليها قائلا :

ـ (سناء) . هل أتيت تسعين ورائى مرة أخرى ؟

ـ لا أستطيع أن أتركك وأنت فى هذه الحالة .

ـ لماذا ؟ ألم أسئ إليك .. وأسفه كلامك ، فى الوقت الذى جئت لتساعدينى فيه ؟ ما الذى يدعوك إلى الاهتمام بى ، والشفقة علىّ بعد كل ما فعلته معك ؟

ـ لم يكن الدكتور (وحيد) هو الذى يتكلم وقتها .. بل كان إنسانا آخر .

ـ لقد انتهى الدكتور (وحيد) .

ـ كلا لا تقل هذا .. ما زال الدكتور (وحيد) فى نظرى هو الأستاذ والعالم الكبير ، صاحب المبادئ والقيم والخبرات العلمية المتقدمة .

ابتسم فى مرارة قائلا :

ـ أشكرك لمحاولتك رفع روحى المعنوية .

ـ لست بحاجة إلى من يرفع روحك المعنوية .. بل إلى من يشحذ إرادتك من جديد فقط ، فتعود إلى معملك وتجاربك وأبحاثك مرة أخرى ، لتصر على تحقيق النجاح الذى وضعت أقدامك على الطريق إليه .

ـ النجاح !! أى نجاح ؟. إننى إنسان فاشل .

ـ لست أنت الذى يقول هذا .. ولا تستطيع أن تنكر أنك قد حققت طفرة باكتشاف هذا الدواء .. فقد تمكنت من التأثير على أعصاب مرضى الشلل ، وإعادتهم إلى الحركة والسير مرة أخرى .

ـ لماذا ؟ ليعودوا إلى المقاعد المتحركة وإلى عجزهم السابق بعد بضعة أسابيع فقط ؟! وليت الأمر يقتصر على ذلك .. بل إن نسبة العجز تزيد

ـ ولكن هذا يعنى أنك استطعت التغلب على الشلل .. ولو بطريقة مؤقتة ولفترة من الوقت .. وكل ما تحتاج إليه الآن ، هو مزيد من البحث والدراسة والتجارب والاختبارات ، لكى تحول هذا النجاح الوقتى إلى نجاح دائم .

لقد قطعت مرحلة جيدة فى هذا الشأن ، ويتعين عليك ألا تتراجع الآن .

ـ لا أستطيع يا (سناء) .. لم أعد أستطيع .. لقد فقدت الثقة بنفسى .

قالت له (سناء) فى إصرار :

ـ بل تستطيع يا دكتور (وحيد) .. تستطيع . ليس من أجل استعادة هذه الثقة المفقودة فقط .. بل من أجل الآلاف الذين تتعلق آمالهم بك وبنجاحك .

من أجل هؤلاء الذين ينتظرون منك أن تساعدهم وأن تمد لهم يد العون لكى يغادروا مقاعدهم المتحركة ، ويعودوا إلى حياتهم الطبيعية مرة أخرى .

تأملها (وحيد) قائلا :

ـ أتظنين أننى أستطيع أن أنجح فى ذلك ؟

ـ بل إننى واثقة من ذلك .

ـ أريد أن أصدقك .

ـ وهل كذبت عليك من قبل .

ـ أبدًا يا (سناء) .. لقد كنت دائمًا إنسانة صادقة .

ـ إذن هل أعدّ نفسى للعمل معك مرة أخرى فى معمل الأبحاث غدًا ؟

قال لها بحماس :

ـ ولماذا ننتظر إلى الغد ؟ لماذا لا نبدأ من اليوم ؟

ـ كلا اليوم ستحلق لحيتك هذه ، وتعيد تهذيب شعرك وترتدى ثيابًا لائقة ؛ لأننى قررت أن أعزمك على العشاء فى ذلك المطعم الذى ذهبنا إليه من قبل .. وأرجو ألا ترفض دعوتى .

ـ لا أستطيع أن أفعل ذلك .

ونظر إلى يدها قائلا :

ـ (سناء) .. أين خاتم الخطبة الذى كان فى أصبعك ؟

قالت (سناء) بصوت منخفض :

ـ لم تعد هناك خطبة .. لقد انفصلنا .

ـ لماذا ؟

ـ لأننى لم أستطع أن أحب خطيبى .. لقد حاولت ولكننى فشلت فى ذلك . لذا فضلت أن ينتهى الأمر عند هذا الحد .

سألها قائلا :

ـ (سناء) .. أما زلت تحبيننى !

أحمر وجهها خجلاً وهى تقول :

ـ دكتـور (وحيـد) .. لا أعتقد أن الوقت مناسب لذلك .

تأملها وهـو يتبين ملامحها الجميلة الرقيقة وكأنه يراها لأول مرة ، وفى عينيه فيض من الحب :

ـ أرجوك أجيبى عن سؤالى .

قالت وهى تحاول ألا تلتقى عيناها بعينيه .

ـ لقد قلت لك من قبل .. هناك أشياء لا تحتاج إلى أسئلة ولا أجوبة .

عاد ليسألها :

ـ ولكنى أحتـاج إلى إجابة عن هذا السؤال .. هل تتزوجيننى ؟

أحست بارتباك شديد .. ولكنها لم تستطع أن تخفى فرحة ومضت فى عينيها ، وهو يقول :

ـ (سناء) .. أجيبى عن سؤالى .

قالت والعبرات تتساقط فوق وجنتيها من فرط السعادة :

ـ نعم .

ـ قبّل يديها قائلاً :

ـ أشكرك .. أشكرك من كل قلبى .. فهذا ما كنت أحتاج إليه .

تأكدى أننى سأبذل كل جهدى لإسعادك يا حبيبتى .. وتحقيق كل ما كنت تأملينه فىّ .

وفى اليوم التالى ذهبا معًا إلى معمل الأبحاث ، وقد تشابكت أيديهما بعد أن عقدا اتفاقهما على الحب والزواج ..

والإصرار علىالنجاح .

(تمت بحمد الله)

* * *



المؤلف



ا. شريف شوق

السلسلة الوحيدة التى لايجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



معك دائماً

أحبته وأخفت حبها فى قلبها، ولكنها لم تستطع أن تتخلىّ عنه فى محنتـــه، بالرغم من الجـفـاء الذى عاملها به .. وأصرت (سناء) على أن تبقى دائمًا بجوار (وحيد) مهـما كـان الأمـر

٤٢٧٨٤

الثمن فى مصر ١٢٥ ص
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم